شرح

القواعد الأربع

لشيخ الإسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي (١٢٠٦ هـ)

شرح فضيلة شيخنا

أبي المنذر منير السعدي العدني

-حفظه الله ووفقه وزاده علمًا-

٢٠٢٤م – ١٤٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله تعالى–:

بِسمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيم

أَسألُ اللهَ الكَريمَ رَبَّ العَرشِ العظيمِ أَنْ يَتولَاكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنتَ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّنْ إِذَا أُعْطِي شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِي صَبر، وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَ عُنْوَانُ السَّعَادَةِ.

الشرح

ابتدأ هذا الكتاب "كتاب القواعد الأربع" بالبسملة؛ اقتداءً بكتاب الله العزيز، فإنه مَبدوءٌ بالبسملة، اقتداء بسنة النبي صلى الله عليه وسلم الفعلية؛ فإنه كان يبدأ كتبه ورسائله إلى الملوك وإلى القياصرة وإلى الأكاسرة بالبسملة، وأيضا في صلح الحديبية، بدأ الصلح بقوله عليه الصلاة والسلام بالبسملة، قال صلى الله عليه وسلم: (**اكْتُبْ بسم الله الرحمن الرحيم**).

ثم بعد البسملة بدأ المؤلف –رحمه الله تعالى– بالدعاء لقارئ هذه الرسالة، ولمتعلمي هذه الرسالة، وهذا من رحمته ومحبته وعنايته لطلاب العلم، فقد كان رحيمًا محبًا لطلاب العلم –رحمة الله تعالى عليه– ومما يدل على ذلك: أنه كان يكثر من الدعاء للطلاب: اعلمْ رَحمكَ اللهُ، اعْلم أرشدك الله لِطَاعتِهِ، أَسألُ اللهَ الكَريم ربَ العرش العظيم أن يتولاك .. إلى آخره، فهذه أدعية من الشيخ –رحمة الله تعالى عليه– تدل على رحمته ومحبته وعنايته لطلاب العلم.

قوله: **أَسألُ اللهَ الكَريمَ رَبَّ العَرشِ العظيمِ**: هذا توسل باسم الله عز وجل (الكريم) الدال على كرمه، وبربوبية الله جل وعلا لعرشه، وبربوبية الله عز وجل لعرشه، إذا سأل الله عز وجل وتوسل بكرمه على عرشه، قال: اسأل الله الكريم، هذا من التوسل المشروع، أن تتوسل بأسماء الله جل وعلا، وأن تتوسل بصفات الله، يعني أن عندما تدعو الله فإنك تأتي بدعائك باسم من أسماء الله أو بصفة من صفات الله؛ فإن ذلك سببٌ لقبول الدعاء، فعندما تقول: اغفر لي، فتقول: اغفر لي يا غفور، أو يا غفور اغفر لي، هنا توسلت، وجئت باسم من أسماء الله في دعائك، وهذا سبب لقبول الدعاء، وهكذا إذا تقول اللهم اسألك بمغفرتك أن تغفر لي، توسلت بصفة من صفات الله جل وعلا، فهذا من الأمور المشروعة.

فهنا الشيخ –رحمه الله تعالى– قال: **أَسْأَلُ اللهَ الكريمَ**: توسَّلَ باسم الله الكريم، أي جاء في دعائه باسم الله (الكريم)، وقرن في دعائه اسمًا من أسماء الله، وهو الكريم، وهو الاسم الدال على الكرم وسعة العطاء وسعة الجود، وبعض أهل العلم يقول: هذا الاسم من الأسماء الجامعة للمحاسن، فهو اسم جامع للمحاسن.

قوله: **رَبَّ العَرشِ العَظِيمِ**: رب بمعنى صاحب، رب العرش العظيم: أي صاحب العرش العظيم، وخالق العرش العظيم، فرب العرش العظيم هو صاحب العرش وخالق العرش، فسأل الله عز وجل بربوبيته على عرشه.

والعرش هو سرير المُلْكِ، قال تعالى في شأن ملكة سبأ: **(وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ)**، وقال سبحانه: **(وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى العَرشِ)**، وعرش الله عز وجل وهو سرير له قوائم، كما جاء في الحديث الصحيح، وهو محمولٌ، تحمله الملائكة: **(الَّذِينَ يَحْمِلُونَ العَرْشَ وَمَنْ حَولَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِم وَيُؤْمِنُونَ بِهِ)** وقال سبحانه: **(وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُم يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ)** وقد وصفه الله عز وجل في القرآن بالمجد: **(ذُو العَرشِ المَجِيدِ)** ووصفه بالعظمة: **(اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُو رَبُّ العَرشِ العَظِيمِ)** وهكذا وصفه بالكرم: **(رَبُّ العَرشِ الكَرِيمِ)**، فوصفه بالمجد، ووصفه بالعظمة، ووصفه بالكرم، فهذا هو عرش الله.

وهو أعلى المخلوقات، قال أهل العلم: كالقبة. فهو سقفُ المخلوقات كالقبة، فليس فوق العرش إلا الله عز وجل، فهو أعلى المخلوقات، وهو أعظم المخلوقات من حيث الخِلْقة، وأكبر المخلوقات.

لكن من حيث الشرف فنبينا محمد صلى الله عليه وسلم أفضل، أفضل المخلوقات هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، لكن أكبر المخلوقات وأعظم المخلوقات من حيث الخلقة هو العرش.

قوله: **يَتَوَلَّاكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**: يتولاك: مأخوذ من الولاية، وهي المحبة والنصرة والتأييد، ومن القرب، فالولاية أيضا يراد بها القرب، وفي الحديث: **(لِيَلِنِي منْكُم أُولُوا الأَحْلَامِ وَالنُّهَى)** أي ليقربوا مني.

فقوله: **يَتَوَلَّاكَ**: من الولاية التي هي المحبة والنصرة والتأييد، ومن الولي والقرب، وكل المعاني صحيحة، فيجعلك الله عز وجل قريبًا منه، ويحبك، ويؤيدك، وينصرك، فهذا دعاء عظيم.

وإذا تولاك الله عز وجل، وكنت وليًا لله سبحانه، كنت مُستحقًا للضمان العظيم التي جاء في قوله سبحانه: **(أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوفٌ عَلَيهِم وَلَا هُم يَحْزَنُونَ)** فإذا كنت وليا لله عز وجل فلا خوف عليك ولا حزن.

وهكذا من أعظم منافع ولاية الله: أن تكون مُسدَّدًا، وفي الحديث القدسي: (**كُنتُ سَمْعَهُ الذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ التِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ التِي يمشِي بِهَا**).

وهكذا يكرمك الله عز وجل بإجابة الدعوة: (**وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ**).

يتولاك الله عز وجل، فلا تسأل عن الخير الذي يحصل لك، (**إِنَّ وَلِيِّ اللهُ الذِي نَزَّلَ الكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ**).

فإذا عرفت معنى هذا الدعاء، وعرفت الضمانات، وعرفت المنافع، فما عليك إلا أن تكتسب هذه الولاية؛ لأن الولاية مكتسبة بالإيمان والتقوى: (**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوفٌ عَلَيهِم وَلَا هُم يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ**) فهي مكتسبة بالإيمان والتقوى والتمسك بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والاقتداء برسول الله تبارك وتعالى، وتزن أعمالك بالكتاب والسنة، فإذا كنت كذلك، وداومت على ذلك، وواظبت على الطاعة، وداومت عليها، وأخلصت فيها لله عز وجل إلى أن تموت، فلك هذه الضمانات التي جاءت في الكتاب وفي السنة.

قال: **وَأَن يَجْعَلَكَ مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتَ**: من الذي يجعلك مباركًا ؟ الجواب: الله عز وجل، كما قال عن عيسى: (**وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا**) فاللهُ هو الذي يُباركُ في هذه المخلوقات، فَيَجْعَلُها مُباركةً، سواء كانت أشخاصًا أو كانت أماكن، أو كانت أزمنة، فهو الذي يجعلها مباركة، يجعل هذا الزمن مباركا كرمضان، يجعل هذا المكان مباركا كالمسجد الحرام، يجعل هذا الشخص مباركا كالأنبياء والعلماء.

والبركة ما هي ؟ هي الخير الكثير وثبوته، يكثر الخير ويثبت، هذا معنى البركة، وهذا يشمل أشياء كثيرة، بركة في علمك، بركة في مالك، بركة في أهلك، بركة في ولدك، فيشمل أشياء كثيرة.

كيف يبارك لك في علمك ؟ الجواب: أن تتعلم العلم النافع، وأن تحرص عليه، فيبارك لك الله عز وجل في الحفظ، ويبارك لك الله عز وجل في جودة الفهم وحسن الفهم، ويبارك لك الله عز وجل بأنك تنشر هذا العلم، وأن تدعو الناس إلى هذا العلم، وقبل ذلك كله أن تعمل بهذا العلم، فهذا من أعظم انواع البركة في العلم، أن تعمل بالعلم، أن تعمل بما تعلمته، فهذا من البركة.

وكيف يبارك الله لك في مالك ؟ الجواب: أن يبارك لك الله في المال، فتنفقه وتصرفه في وجوه البر وفي وجوه الخير وفيما أباحه الله عز وجل، تنفقه في الوجوه النافعة سواء كانت من الواجبة أو المستحبة، أو كانت من الأمور حتى المباحة، لكن بما يعود عليه بالنفع، فهنا بُورك لك في مالك.

وكيف يبارك لك في ولدك ؟ الجواب: بأن يرزقك الله الأولاد، يجعلهم صالحين، بحيث تنتفع بهم في الدنيا والآخرة، تنتفع بهم في الدنيا، يعينوك على أمور الدين والدنيا في هذه الحياة، فيكون عونا لك في الدنيا، وهكذا بعد الموت، بعد الموت يظل يدعو لك، كما جاء في الحديث: **(أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ)**.

فالبركة تشمل أشياء كثيرة.

قوله: **وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ**: أيُّ عبد لا يخرج عن هذه الأحوال الثلاثة، إما أَن يُعطى من النعم، وإما أن يُبتلى بالمصائب، وإما أن يحصل له الوقوع في الذنوب والمعاصي والسيئات، وكل عبد يتقلب في هذه الأحوال الثلاثة.

لكن من السعيد ؟ الجواب: ليس السعيد الذي إذا أُعطي بَطَرَ، ولم يسخر هذه النعم في طاعة الله، وفيما أباحه الله، هذا ما هو سعيد!، ولو رأيته يضحك، ولو رأيته يقفز فرحًا، فوراء ذلك الكآبة، ووراء ذلك المعيشة الضنك.

وليس الذي إذا ابتلي بالمصائب جَزِعَ وتسخط واعترض على أقدار الله ولطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية، هذا ما هو سعيد !.

ولا الذي إذا وقع في السيئات والذنوب مرة، وأصر عليها، وأتبع السيئةَ السيئةَ بعدها، هذا ما هو سعيد!.

إذن: فمن السعيد ؟

الجواب: قال: **فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَ عُنْوَانُ السَّعَادَة**.

الذي إذا أُعطي شكر: إذا اعطيت النعم سواء كانت نعم دينية أو دنيوية كالمال والزوجة والأولاد والصحة والعافية والأمن والأمان، فإنك تشكر الله عز وجل عليها بلسانك وبقلبك، تعترف أنها من الله، وتقر أنها من الله، وتشكر بلسانك: الحمد لله الذي أنعم علينا هذه النعم. وتشكر الله عليها، وتسخرها في طاعة الله، فيما أباحه الله.

وهكذا النعم الدينية، يعطيك الله حفظ القرآن، ينعم الله عليك بالمحافظة على الصلاة، ينعم الله عليك بصلاة قيام الليل، ينعم الله عليك بصيام النهار، ينعم الله عليك بحضور حلق العلم، هذه كلها هذه كلها نِعمٌ تحتاج إلى شكر، سواء كانت دينية أو دنيوية، قال الله عز وجل: **(لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُم)**، فإذا شكرت الله عز وجل على النعم بالقلب واللسان والجوارح زادك الله من النعم الدينية، ومن النعم الدنيوية.

والذي إذا ابتلي صبر: إذا حصلت لك المصيبة، حصلت لك الأشياء الغير ملائمة لك، فقد تحصل لك أشياء لا تلائمك، فهنا تحتاج إلى صبر، لا يكن عندك اعتراض، لا يكن هناك تسخط، لا يكن هناك أفعال بالجوارح تدل على التَّسخُّط كلطم الخدود، وشق الجيوب، وغير ذلك من أفعال الجاهلية، لا تقابل هذه المصائب وهذه الأمور الغير ملائمة لك بالصبر .

والذي إذا أذنب استغفر: إذا وقعت في الذنب، فإنك تستغفر، وتتوب إلى الله عز وجل كما قال الله سبحانه: (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُم ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِم وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُم يَعْلَمُونَ).

وقال صلى الله عليه وسلم : (**كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاء، وَخَيرُ الخَطَّائِين التَّوَّابُونَ**) وقال: (**لَو لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهبَ اللهُ بِكُمْ، وَجاءَ بِقَومٍ يُذْنِبُونَ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُونَ الله، فَيَغْفِر اللهُ لَهم**).

فهذا الذنب يحصل من جميع بني آدم، لكن المؤمن الموفق المسدَّد المتقي لله عز وجل المحسن إذا اذنب استغفر، يعني يطلب المغفرة: اللهم اغفر لي، أستغفر الله وأتوب إليه، ربِّ اغفر لي، وتب علي، اللهم إني ظلمت نفسي، فاغفر لي، إذن: يطلبها بلسان المقال.

ويطلبها أيضا بالأعمال، (إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبنَ السَّيِّئَاتِ) وفي الحديث: (**الصَّلَواتُ الخَمْسُ مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَينَهُنَّ مَا اجْتُنِبَتِ الكَبَائِر**) فتطلب المغفرة بالعمل الصالح، فتصلي، وهذه الصلاة تكفر السيئات. وهكذا الجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهما، وهكذا رمضان إلى رمضان، والعمرة إلى العمرة، فتطلب المغفرة بالأعمال الصالحة.

فطلب المغفرة على وجهين: إما بلسان المقال، وإما بالأعمال الصالحة.

فإذا كان العبد كذلك، يتقلب في هذه الأحوال الثلاثة، فهذا هو السعيد؛ ولهذا قال الشيخ: (**فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الثَّلاثَ عُنْوَانُ السَّعَادَةِ**).

قال -رحمه الله-: (**اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ أَنَّ الحَنِيفِيَّةَ -مِلَةَ إِبْراهِيم- أَنْ تَعْبدَ الله وَحَده مُخلِصًا لَهُ الدِّين؛ كما قال تعالى**: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالأِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ):

قوله: (**اعْلَمْ**): هذا أسلوب قرآني، يؤتى بهذا الفعل (**اعْلَمْ**) للتنبيه على أن ما بعده من الأمور المهمة، فاعتنِ بها، واهتم بها، (**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغفِرْ لِذَنْبِكَ**)، (**اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدَ العِقَابِ**)، (**اعْلَمُوا أَنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ**) فيؤتي بهذا الأمر للتنبيه على أن ما بعده من الأمور المهمة.

قوله: (**أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ**): هذا دعاء آخر للمتعلم ولطالب العلم ولمن يقرأ هذه الرسالة، دعا له بأن يرشده الله لطاعته.

قوله: (**أَنَّ الحَنِيفِيَّةَ**) : هناك مناسبة بين الرشاد واتباع ملة إبراهيم، فكأنه يقول : أرشدك الله لطاعته إذا وفقك الله لاتباع الحنيفية، وأن تكون حنيفًا لله مسلمًا، فهذا هو الرشاد، وهذا هو الرشد، أن تكون على ملة إبراهيم حنيفًا مسلما، والرشد: حُسنُ التصرف، وهذا يكون في الدين وفي المال وفي الأخلاق، فعندنا الرشد حسن التصرف، وضد الرشد: السفه، فيقال هذا رجل رشيد؛ يحسن التصرف، وهذا رجل سفيه؛ لا يحسن التصرف، هذه امرأة رشيدة، وهذه امرأة سفيهة.

أما هنا فإذا كنت مُتبعًا لملة إبراهيم، فأنت الرشيد، ومن لم يتبع ملة إبراهيم فهو السفيه، ولذلك قال الله سبحانه: (**وَمَنْ يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ**).

والحنيفية من الحَنَف، والحنف لغة: المائل، فيقال رجل أحنف إذا كان فيه ميلان في قدمه ورجله، وفي الشرع: أن تميل عن الشرك إلى التوحيد، قال ابن القيم: الحنيف: المقبل على الله المعرض عن كل ما سواه. وهذا الكلام قريب من المعنى السابق.

ويأتي الحنف في اللغة بمعنى المستقيم، وهذا معن صحيح، فالحنيف هو المستقيم على دين الله، وعلى شرع الله.

قوله: (**مِلَةَ إِبْرَاهِيم**): هذا بدل، أو عطف بيان، فالحنيفية هي ملة إبراهيم، والملة بمعنى الدين، فالحنيفية هي دين إبراهيم؛ أن تعبد الله مخلصا له الدين، (**وَمَنْ يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ**) أي عن دين إبراهيم، (**مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ**) أي دين أبيكم إبراهيم.

طيب ما هي هذه الملة ؟ قال أن تعبد الله مخلصا له الدين، فـ(أن) مصدرية وناصبة، فتسبك بما بعدها بمصدر، فيكون التقدير، الحنيفية ملة إبراهيم عبادة الله مخلصًا له الدين.

فهذا التعريف الذي اختاره الشيخ أسهل إلى الفهم.

قوله: (**مُخْلِصًا**): الإخلاص من معانيه: أن تقصد وجه الله والدار الآخرة، ومن معانيه: أن تصفي أعمالك من الشرك، ألا لله الدين الخالص من كل شائبة شرك .

فمخلصًا أن تقصد بعملك وعبادتك وجه الله والدار الآخر، لا تريد رياءً ولا سمعة لا غرض من أغراض الدنيا، وتصفي وتنقي أعمالك من الشرك.

قال كما قال تعالى: (**وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**) أي ليوحدونِ، فهذه هي الحكمة والغاية من خلق الجن والإنس؛ أن يعبدوه وحده مخلصين له الدين.

والعبادة تنقسم إلى قسمين: عبادة كونية وعبادة شرعية، فالكونية يدخل فيها كل الخلق، فكلهم عبيد لله، كما قال سبحانه: (**إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا**) هذه عبودية عامة كونية، كل من في السماوات والأرض عبدٌ لله، وهِيَ عُبُودِية، لا يترتب عليها ثواب ولا عقاب، يدخل فيها الكافر، فلا يخرج عن حكم الله الكوني، يمرض ويعز ويذل وينصر ويهزم ويفقر ويغنى ويرزق ويميت ويحيي وغيرها من أفعال الله الكونية .

والعبادة الشرعية: هي التي يترتب عليها الثواب والعقاب؛ أن تتذلل وتخضع لله عز وجل مع المحبة والتعظيم، هذا فعلُك، فتحب الله محبةً تدفعُك لفعل الخيرات، وتعظمه سبحانه عظمة تجعلك تنكف عن المنكرات، فتتذلل لله بأفعال تفعلها وهي العبادات، تتقرب بها إلى الله عز وجل.

قال شيخ الإسلام: العبادةُ: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

فالعبادة إذا نظرت إلى المتَعَبّد بها، فهي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة، وإذا نظرت لفعل العبد، فتقول: هي التذلل والخضوع لله مع حبه وتعظيمه، فهذه هي العبادة الشرعية التي خلق الله الإنس والجن لأجلها، وأرسل الرسل لأجلها، وأنزل الكتب لأجلها، وقام سوق الجنة والنار، لأجلها وقام سوق الجهاد لأجلها.

قال: (**فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ**): من أين عرفت ؟ الجواب: من الآية: (**وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**).

كثيرٌ من الناس لا يعرف أنه خُلِقَ لأجل أن يعبد الله، بل مليارات الناس لا يعرفون أنَّ الله خلقهم لعبادته، فأنت احمد الله أنك عرفت، فعندما تتعلم وتقرأ كلام أهل العلم تعرف ما هو المطلوب منك .

قال: **(فَاعْلَمْ أَنَّ العِبَادَةَ لَا تُسَمَّى عِبَادةً إِلَّا مَعَ التَّوحِيدِ)** العبادة الشرعية لا تسمى عبادة صحيحة شرعية، ولا تكون مقبولة عند الله جل وعلا إلا بهذا الشرط (التوحيد)، فإذا لم يتوفر هذا الشرط فإن هذه العبادة باطلة غير مقبولة وغير صحيحة، فلا تسمى عبادة مقبولة صحيحة شرعية إلا بشرط التوحيد، وإذا لا يوجد توحيد فالله يجعل هذه العبادة هباءً منثورًا، فلو عبدت الله مائة سنة، وليس معك توحيد، فهذه العبادات يجعلها الله عز وجل هباءً منثورًا، **(كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْئَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ فَوفَّاهُ حِسَابَه)**، يجعلها الله **(كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَومٍ عَاصِفٍ)**.

والتوحيد لغة: مصدر من وحَّد يوحد توحيدًا، إذا جعل الشيء واحدًا، فإذا وحدت الله في ربوبيته، ووحدت الله في ألوهيته وعبادته، ووحدت الله في أسمائه وصفاته، فجعلته واحدًا في هذه الثلاثة الأمور فأنت موحدٌ، قد وحدت الله.

وأما معناه في الشرع، فمن أحسن التعاريف:

إفراد الله بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، لهذا قال أهل العلم أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات .

وتكون موحدًا في الربوبية إذا اعتقدت أن الله الخالق الرازق المدبر المالك المتصرف لا شريك له في ذلك، فتجعله واحدًا في أفعاله، فتعتقد أن الله هو الذي خلق ورزق وأحيا وأمات ونصر وهزم وأغنى وأفقر وأعز وأذل ودبر الكون وهو المالك لكل شيء، فهنا إذا اعتقدت ذلك فتكون وحدت الله في الربوبية إذا اعتقدت ذلك فقد وحدت الله في ربوبيته،

وتفرد الله في ألوهيته وهو توحيد العبادة، وكلاهما بمعنى واحد، فإذا نظرنا إلى المعبود وهو الله سبحانه فتوحيده هو توحيد الألوهية، وإذا نظرت إلى العبد، فتقول توحيد العبادة لأن العبد يتقرب إلى المعبود بالعبادات، فتعتقد أن الله هو المستحق للعبادة، وأن غيره لا يستحق، وإذا عُبد غيره فإنما عُبد بالباطل.

وتوحد الله في أسمائه وصفاته، فتفرده في أسمائه وصفاته، فتثبت لله عز وجل ما أثبته لنفسه في كتابه الكريم، وما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته من الأسماء والصفات، بدون تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وتنفي عنه ما نفاه عن نفسه وما نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم، فإذا جئت بهذا التوحيد (إفراد الله بما يختص به) قُبِلت عباداتك، فالتوحيد كأساس البيت، ثم تبني ما شئت من الغرف، عشر عشرين ثلاثين خمسين مائة دور؛ لأن معك أساسٌ قوي، يتحمل هذا البناء، أما إذا لم

يوجد الأساس فسيهوي كل ما بنيته، ويكون كما قال الله عز وجل: **(وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا)** لماذا ؟

الجواب: لأنهم ما عندهم التوحيد، ما أفردوا الله بما يختص به من الألوهية والربوبية والأسماء والصفات.

قوله: **(فَاعْلَم أَنَّ العِبَادَةَ لَا تُسَمَّى عِبادَةً إِلَّا مَعَ التَّوحِيدِ كَمَا أَنَّ الصَّلَاةَ لَا تُسمَّى صَلَاةً إِلَّا مَعَ الطَّهَارَةِ)**: فكما أن الطهارة شرط في صحة الصلاة، فلا تصح الصلاة إلا بالطهارة، كذلك لا تصح العبادة من صلاة وصيام وحج وغيرها من العبادات إلا مع التوحيد، فيشترط لصحة العبادة التوحيد، وقد ذكرنا سابقًا تعريفه وأقسامه.

والمؤلف –رحمه الله– من حرصه على إيصال العلم إلى جميع الناس يأتي بأشياء واضحة؛ ليقرب الفهم، فيأتي بأشياء يفهمها الجميع، وهي أن الصلاة لا تصح إلا بطهارة، فيقول وكذلك العبادة لا تصح إلا مع التوحيد، أما إذا كان الإنسان عنده شرك، فإن العبادة لا تصح.

قال: (قال: **(فَإِذَا دَخَلَ الشِّرْكُ فِي العِبَادَةِ فَسَدَتْ كَالحَدَثِ إِذَا دَخَلَ فِي الطَّهَارَةِ)**، وهذا أيضا يقرب إلى الفهم، فالطهارة إذا تطهر الإنسان أو توضأ أو اغتسل من الجنابة، فإنه يعد طاهرًا، فإذا أحدث وحصل له الحدث، وهو ناقض من نواقض الوضوء كالبول أو الغائط أو الفساء أو الضراط أو النوم أو أكل لحم الإبل، فإنه إذا حصل له شيء من هذه الأمور فهل تبقى الطهارة أم تبطل ؟

الجواب: تبطل الطهارة، وتنتقض، وتفسد، فالحدث إذا دخل على الطهارة تَبطلُ الطهارةُ، وهكذا الشرك إذا دخل على العبادة، كإنسان يعبد الله، ويصلي لله، ويزكي لله، ويحج لله، ويصوم لله، ثم دعا غير الله، قال: يا رسول الله المدد، يا عيدروس أنقذ النفوس، يا بدوي المدد المدد، فالآن أشرك بالله، فهذا الشرك يفسد كل العبادات، وينقضها، ويحبطها، ويفسدها، ويسقطها، وتذهب العبادة سدى، كما أن الحدث إذا دخل على الطهارة أفسدها وأبطلها، فالشرك أمره خطير.

ما المراد بالشرك ؟

الجواب: الشرك لغة هو النصيب: **(وَمَا لَهُم فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ)** أي: من نصيب، وأما في الشرع فهو قسمان: شرك أكبر وشرك أصغر، فالشرك الأكبر: هو تسوية غير الله بالله في شيء من خصائص الله، أن تسوي غير الله بالله، أن تسوي ملكًا أو نبيًا أو صالحا أو كوكبا أو شجرا أو حجرا تسويه بالله جل وعلا، وخصائص الله هي الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، فجعلت هذا النبي أو هذا الملك أو هذا

الولي أو هذا الشجر أو هذا الحجر مساويا لله، فيخلق كما يخلق الله، ويرزق كما يرزق الله، أو أنه يستحق العبادة كما يستحقها الله، أو تجعل له أسماء وصفات خاصة بالله، فهنا سويت غير الله بالله في شيء من خصائص الله، فهذا هو الشرك الأكبر.

والقسم الثاني: الشرك الأصغر، وهو كلما جاء في النصوص تسميته شرك أو كفر ولا يصل إلى حد الشرك الأكبر، كما قال صلى الله عليه وسلم: (**سِبَابُ الْمُسْلِمِ، فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**)، لكنه كفر أصغر، وليس كفرًا أكبر، وهكذا من حلف بغير الله فقد أشرك، لكنه ليس شركًا أكبر بل هو شرك أكبر، وقال صلى الله عليه وسلم: (**كُفْرٌ مَنِ انْتَسَبَ إِلَى غَيرِ أَبِيهِ**).

ويضاف إليه ما كان وسيلة إلى الشرك الأكبر فهو شرك أصغر، مثل الغلو في الصالحين، ويرفعهم فوق منزلتهم، الغلو في القبور، فبدلًا أن يرفع القبر قَدْرَ شِبرٍ، يرفعه عشرة أذرع، أو ينبي عليه قبة أو مسجد أو بناءً عظيمًا، فهذا غلو، فهو من الشرك الأصغر.

يتعبد الله عند القبر، ويصلي عند القبر، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة إلى القبر وفي المقبرة، وهذا يصلي النوافل في المقبرة لله، هذا وسية إلى الشرك الأكبر، فكل ما كان وسيلة وذريعة إلى الشرك الأكبر، فهو شرك أصغر، فهذان ضابطان، تعرف بهما الشرك الأصغر.

أيضا من الشرك الأصغر: الرياء، كما جاء في الحديث: (**أَخْوَفُ مَا أَخَافَ عَلَيكُم الشِّركُ الأَصْغَر**) فَسُئِلَ عَنْه، فَقال: (**الرِّيَاء**)، والمراد يسير الرياء، كأن يتعبد لله عبادة يرائي بها الناس، حتى يرونه ويسمعون به، فيكون الباعث للعبادة الرياء والسمعة، تصدق من أجل أن يراه ويسمع به الناس.

فإذا عرفنا هذين القسمين، فنعرف أن المراد بقوله: (**فَإِذَا دَخَلَ الشِّرْكُ فِي العِبَادَةِ**) هو الشرك الأكبر، فقد تجد إنسان يعبد الله، يصلي في الصف الأول، يزكي من ماله كل سنة، يصوم رمضان يحج ويعتمر لله كثيرا، بارًا بوالديه، واصلًا لأرحامه، لكنه يذبح لغير الله، ويدعو غير الله، وإذا جاء وقت زيارة الولي، قال: شي لله يا عيدروس ! يتقرب للعيدروس بالذبائح أو النذور أو الاستغاثة، فهذا شرك أكبر، وكل عباداته العظيمة فاسدة باطلة.

وقد لا يستوعب الإنسان أن الشرك يفسد جميع العبادات، لكن: ألا ترى أن الإنسان إذا توضأ وتطهر طهارة كاملة، ثم حصل له حدثٌ، فيحصل لتلك الطهارة الفساد، وهكذا العبادات تفسد إذا دخل عليها الشرك.

قال: (فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الشِّرْكَ إِذَا خَالَطَ العِبَادَةَ أَفْسَدَهَا، وَأَحْبَطَ العَمَلَ، وَصَارَ صَاحِبُهُ مِنَ الخَالِدِينَ فِي النَّارِ عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيكَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ؛ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُخَلِّصُكَ مِنْ هَذِهِ الشَّبَكَةِ، وَهِيَ الشِّرْكُ بِاللهِ الَّذِي قَالَ اللهُ فِيهِ: (إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) وَذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ، ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ):

الشرح

الشرك يوجب ثلاثة أمور ذكرها الشيخ -رحمه الله تعالى- أنه يفسد العبادة، ويحبط العمل إذا خالط العبادة، فالذي يصلي ويصوم ويزكي ويحج، ثم يدعوا غير الله، ثم يستغيث بغير الله، ثم يذبح لغير الله تقربًا وتعظيمًا، فهذا قد أشرك وحبط عمله، أو يصلي ويصوم ويزكي، ثم يسب الله أو يسب رسول الله، فهذا قد حبط عمله؛ لأنه ارتد وكفر، أو يصلي ويصوم، ويأتي بالعبادات، لكنه يقول: الزنا حلال، والخمر حلال، فهذا مرتد كافر، فيحبط العمل.

فالشرك والكفر يحبطان العمل.

قوله: (وَصَارَ صَاحِبُهُ مِنَ الخَالِدِينَ) إذا مات ولم يتب من الشرك والكفر، فإنه يكون من الخالدين في النار، قال سبحانه: (وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُم عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُم فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) وقال سبحانه: (إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ الجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ).

وهكذا يذكر الشيخ -رحمه الله تعالى- الأمر الثالث: أن الله لا يغفر الشرك، لا يغفر أن يشرك به، فالله لا يغفر الشرك الأكبر إلا تاب الإنسان، أما من مات من غير توبة، فالله لا يغفر لمشرك أبدًا: (إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ).

فهذه ثلاثة أمور عظيمة تترتب على الشرك الأكبر، فإذا عرفت هذه الأمور الثلاثة التي تترتب على الشرك الأكبر (عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيكَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ) أي معرفة الشرك، ومعرفة أن العبادة لا تكون عبادة صحيحة مقبولة إلا بالتوحيد، عرفت أن أهم ما عليك معرفة أن الشرك يحبط العمل، ويخلد صاحبه بالنار، إذا مات من غير توبة، وأن الله لا يغفر أن يشرك به، وأن العبادة لا تُسمى عبادةً مقبولة عند الله جل وعلا إلا بالتوحيد، فهذا أهم ما عليك معرفته، وأكثر الناس لا يعرفون ذلك، أكثر الناس لا

يعرفون أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد، ولا يعرفون أن الشرك يحبط الأعمال، ويوجب الخلود في النار، ولهذا تجدهم يَتلبَّسونَ في الشرك، وَهُم لَا يَعْلَمُون، فَتجده يصلي يصوم يزكي يحج والسجدة في جبهته مثل ركبة الجمل كما يقال، ومع ذلك تجده: يا عيدروس، يا رسول الله المدد، يا عيدروس أنقذ النفوس، يا ابن علوان، يا جيلاني، يا علي، يا حسين، يستغيث بغير الله، فنَقَّضَ هذا الشركُ أعمالَه، فلابد أن تتعلم أيها المسلم أيتها المسلمة، لا بد أن تتعلم ما هو الشرك، ما هو دين المشركين الذي بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما هو دين المسلمين الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا بد أن تعرف، وإلا فستلتبس عليك الأمور، وتخبط خبط العشواء، فتقول: لا إله إلا الله من جهة، وتأتي بما ينقضها من جهة أخرى، فلا بد أن تعرف دين المسلمين الذي جاء به سول الله صلى الله عليه وسلم، ولا بد أن تعرف دين المشركين، ما هو دين المشركين الذي بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذه المعرفة يقول الشيخ: لعل الله يخلصك من هذه الشبكة، إذا تعلمت، وعرفت هذه المعرفة، وتعلمت ما هو دين المسلمين، وما هو دين المشركين، ما هو التوحيد، وما هو الشرك؛ لعل الله يخلصك من هذه الشبكة (شبكة الشرك) شبكةٌ من وقع فيها صَعُبَ عليه أن يتخلص منها إلا أن يشاء الله، ومن أعظم ما يكون التخلص من هذه الشبكة (بالعلم) كما قيل:

عَرَفْتُ الشَّرَّ لَا لِلشَّرِّ وَلَكِنْ لِتَوَقِّيهِ **** وَمَنْ لَا يَعرِف الخَيرَ مِنَ الشرِّ يقعْ فِيهِ

فيتعلم المسلم الشر حتى أتوقاه، وكان حذيفة رضي الله عنه يسال النبي صلى الله عليه وسلم عن الشر مخافةً أن يدركه، فأنت عندما تعرف: ما هو الشرك، فإنك تتخلص منه، وتستطيع أن تنجو منه، وتتبرأ منه، لكن إذا لم تعرف الشرك، وقعت فيه، وتوغلت وتعمقت، فصار كالشبكة يصعب عليك أن تتخلص منها، ولهذا جاء في الأثر أن الشرك قد يكون خفيًا، فهناك شرك خفي، وهناك شرك ظاهر، فمن أنواع الشرك: الخفي، خفيٌّ مثل دبيب النملة السوداء، على الحجرة الصماء، في الليلة الظلماء، ما تستطيع أن تتخلص منه إلا بالعلم، أن تتعلم.

وإذا عرفت الشرك عرفت التوحيد، لأن الأشياء تُعرفُ بِضدها، فتعرف النهار إذا عرفت الليل، وتعرف النور إذا عرفت الظلام، فالشيء يتبين بمعرفة ضده.

فإذا علمت ما هو الشرك ما هو دين المشركين، عرفت ما هو دين المرسلين، وما هو دين المسلمين، إذا عرفت الكفر عرفت الإيمان، إذا عرفت البدع عرفت السنة، وكما قيل:

الضِّدُّ يُظْهِرُ حُسْنَهُ الضِّدُّ **** وَبِضِدِّهَا تَتَبَيَّنُ الأَشْيَاءُ

قوله: (**وَهِيَ الشِّرْكُ بِاللهِ الَّذِي قَالَ اللهُ فِيهِ: (إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ)**) : هذا الأمر الثالث الذي يترتب على الشرك الأكبر.

إذن ذكر الشيخ ثلاثة أمور، وهي خاصة بالشرك الأكبر، أما الشرك الأصغر، فإنه لا يوجب الخلود في النار، ولا يحبط العمل، إلا إذا كان رياءً فإنه يحبط العمل الذي قارنه الرياء، لكن باقي الأعمال لا يحبطها، وأيضا الشرك الأصغر هو تحت المشيئة، مثل الزنا وشرب الخمر وقتل النفس والسرقة، هذه كلها كبائر تحت المشيئة، إذا مات من غير توبة، إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه بقدر هذا الذنب، ثم يخرجه من النار، ويدخله الجنة؛ لأنه مُوحدٌ.

وهذه الآية فيها ردٌّ على الخوارج: (**إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**) فالخوارج يقولون: كل كبيرة فإن الله لا يغفرها، وهذا باطل، الكبيرة الوحيدة التي لا يغفرها الله عز وجل الشرك، كل ما كان شركًا أكبر الله لا يغفره، وأما ما دون ذلك من زنا من سرقة من شرب الخمور هذا تحت المشية، هذا إلى الله عز وجل، إن شاء غفر وإن شاء عذب.

فبهذه الآية تصفعهم صفعًا.

والمراد من هذه الآية هو الشرك الأكبر، وليس الأصغر؛ لأن الله عز وجل في الآية الأخرى يقول: (**إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ**) هذه الآية بالإجماع أنها في الشرك الأكبر، وهذه مثلها، وإن كان فيها خلاف لبعض أهل العلم، لكن الصحيح أنها مثلُها: (**إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ**) يعني الشرك الاكبر (**وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**) أي ما دون الشرك من الكبائر والمعاصي التي هي أقل من الشرك ودون الشرك، فهذه تحت المشيئة.

قال: (**وَذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ، ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ**) : يعني تعرف دين المسلمين، وتعرف التوحيد الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، وجاء به المرسلون، وتعرف دين المشركين الذي بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعرفة أربع قواعد، إذا تعلمت هذه الأربع القواعد، وفهمتها فإنك تعرف دين المرسلين، تعرف دين محمد صلى الله عليه وسلم، تعرف التوحيد الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، وتعرف دين المشركين الذين بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فهذه أربع قواعد إذا عرفتها عرفت ذلك، وأكثر الناس لا يعرف هذه القواعد؛ ولهذا خلطوا خلطًا، فيظن أن من قال أن الخالق هو الله الرازق هو الله هذا موحد، وهو يدعو غير الله: يا جيلاني، يا رسول الله المدد، يا بدوي يا زينب يا نفيسة يا فاطمة يا علي يا حسين، ويقول لك: هذا موحد؛ لأنه يقول الخالق

الله الرازق الله، هذا ما يفهم، ما عرف دين المرسلين، وما عرف دين المشركين، فلهذا تجده يخلط خلطًا، لكن المسلم الذي يوفقه الله، ويتعلم، ويقرأ في كتب أهل العلم مثل هذا العالم -رحمة الله تعالى عليه- الذي أفنى عمره في الدعوة إلى دين محمد صلى الله عليه وسلم.

الآن أعداء الرسل وأعداء الدين يشوهون دعوة الحق: (وهابية وهابية)، وإذا جيت تقرأ في كتبه، ما يدعو إلا إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودعوته لا تخرج عن دعوة أهل العلم من الأئمة الأربعة الإمام أبو حنيفة، الإمام الشافعي، الإمام أحمد، الإمام مالك، لكن تشويه أعداء الرسل، وأعداء الدين وأذنابهم يشوهون هذه الدعوة، فيقولون وهابية، فأنت لا تكن إمَّعَة، قالوا: وهابية، قلت: وهابية، سمعت الناس يقولون شيئا، قلت مثلهم، لا، بل تعلم، واقرأ، وطالع، والله ما ينفعك أنك تقلد الناس، وتمشي مع الناس، تعلم، واقرأ واسمع، وانظر، أعطاك الله عقلًا، وأعطاك الله فهمًا، وإن شاء الله تكون من المتقين.

فإذا كنت ممن يبحث عن الحق، وهو يريده، فإن الله عز وجل يوفقك ويهديك سبل السلام، ويهديك صراطه المستقيم.

فهذه القواعد من تعلمها يعرف هذه فائدة عظيمة من تعلم هذا الكتاب أن تعرف دين محمد صلى الله عليه وسلم، يعني التوحيد الذي جاء به عليه الصلاة والسلام.

تعرف إيش كان دين أبي لهب وعتبة بن ربيعة وشيبة بن بيعة وعقبة بن معيط وغيرهم من المشركين، تعرف إيش دين كان دين النصارى الذي بعث إليهم الرسول صلى الله عليه وسلم، تعرف إيش كان دين اليهود الذين بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم بعث إلى الناس كافة، فإذا تعلمت هذه الأربع القواعد، تستفيد هذه الفائدة العظيمة.

الفائدة الثانية: أنك إذا عرفت هذه القواعد الأربع، فمباشرة تقول: هذا الذي يحصل عند العيدروس هو نفسه الذي كان يحصل اللات، نفس الذي كان يحصل عند هُبل، نفس الأمور التي كانت تحصل عند مناة، نفس الأمور التي يفعلها النصارى مع الصليب مع عيسى مع أمه، نفس الشرك.

تعلمت هذه الأربع القواعد ثم انظر الان سواء نظرت في الواقع أو في مقاطع الفيديو تنظر ماذا يفعلون هؤلاء عند القبور، دعاء لغير الله يا فلان يا فلان، وهذا يقول: امرأتي عقيم، وهذا يستغيث، وهذا يبكي وهذا خشوع، وهم عند القبر، فتقول هذا ما كان يفعله كفار قريش.

كيف حكمت أن هذا الشرك نفس ذاك الشرك ؟

الجواب: عندما تتعلم يا عبد الله، يا مسلم، يا مسلمة، عندما تتعلم تعرف أن هذه الأشياء هي نفسها التي تُفعل عند الآلهة التي تفعل عند الأولياء الآن، هي نفس الأشياء التي كانت تفعل عند الآلهة (اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى وهُبَل وغيرها من أصنام العرب) والصليب، فعند النصار يعني الثالوث: عيسى وأمه والله، يتقربون إلى الصلبان بالدعاء والاستغاثة الذبح والنذر وغيرها من العبادات.

فإذن هنا فائدتان معنا لمن تعلم القواعد الأربع:

الأولى: تعرف دين المرسلين، دين الأنبياء، وهو التوحيد الذي بعث الله من أجله المرسلين: **(وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)** وتعرف دين المشركين الذين أرسل إليهم النبي صلى الله عليه وسلم.

والثانية: تحكم على هذه الأفعال التي تراها اليوم في واقعنا المعاصر عند قبور الأولياء، عند المشَاهِد عند الأضرحة، تقول هذا الذي يحصل هناك عند قبور الأولياء هو نفس ما كان يحصل عند الآلهة.

إذن الآن: الولي إيش يساوي؟ يساوي الإله عند أبي لهب وابي جهل، نفس المتقرب إليه المعبود، لكن هذا سماه ولي، وذاك سماه إله، والله جل وعلا في كتابه الكريم أيضا سماهم أولياء: **(اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِنْ رَبِّكُم وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ) (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ)** فسماهم أولياء.

قوله: **(ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ)**: وهذا إيش يفيدك ؟

يفيدك أن هذه الأربع القواعد ليست من عقل الشيخ –رحمه الله–، ولا هي من كيسه، ولا هي من أفكاره، وإنما هي أربع قواعد من كتاب الله تبارك وتعالى، ولهذا قلنا يا عبد الله: اقرأ كتب الشيخ قبل أن تحكم على أهل السنة بالوهابية، وأنهم أصحاب دين جديد، وأنهم كذا، وأنهم كذا، وأنهم من صنعة بريطانيا، هذا الرجل يقولون عنه أنه صنعة بريطانيا، كما أنهم الآن يقولون (المداخلة صنعة اليهود) تنفيرًا من دعوة الحق، وما سيصح إلا الصحيح والله، **(فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جِفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ)** والله ما يصح ولا يبقى إلا الصحيح، فأنت يا عبد الله تعلَّم، لا تكن إمَّعة، لا تجعل أذنيك وَقَلْبَك مِثل الإسفنجة، تطرحها في الماء تشرب الماء، كل ما سمعت شيئا خلاص قلت هذا هو، قالوا لك: وهابية، قلت: وهابية، قالوا: مداخلة، قلت: مداخلة، قالوا: صهاينة العرب، قلت: صهاينة عرب،

خليك مثل المرآة، حتى لو وقع عليها ماء يروج لو وقعت عليها هذه الشبة وهذا السب، فاقرأ وطالع وابح.

فالآن تجد في كتب الشيخ يقول: قال الله كذا وكذا، أو قال رسوله كذا وكذا، لا يأتي بكلام من عنده، ولهذا قال: **(ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ)** إذن هذه الأربع قواعد كلها في القرآن، سيأتيك بآيات من القرآن لا غير، لا هي من كيسه ولا هي من نباتة أفكاره، ولا من عقله، وإنما هي من كتاب الله تبارك وتعالى، وهكذا كل كتبه تجدها قال الله، قال رسوله، قال الصحابة، هذا هو الدين، ما في غيره، ما عدا ذلك فإنه يؤخذ منه ويرد، ويعرض على الكتاب والسنة، ويوزن بميزان الكتاب والسنة.

قال –رحمه الله– : **القَاعِدَةُ الأُوْلَى: أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُقِرُّونَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى هُو الخَالِقُ الرَّازِقُ المُدَبِّرُ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي الإِسْلَامِ، وَالدَّلِيلُ قَولُه تَعَالَى: (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ).**

هذه القاعدة الأولى، أن تعلم أيها المسلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يقرون بأن الله تعالى هو الخالق وهو الرازق وهو المدبر، فكانوا مقرين، ويعترفون بذلك، وليس عندهم أدنى شك في أن الخالق والرازق والمالك والمدبر للأمر هو الله جل وعلا، هل هذا يكفي في دخول الإسلام ؟

لو سالت كثيرًا من المسمين اليوم: هل هذا يكفي ؟ لقالوا: نعم، هذا يكفي، إذا قال: ربي هو خالقي ورازقي ومالكي، وهو المدبر للأمر، قالوا: كفى، هذا موحد مسلم، هؤلاء المسلمون الذين يقولون بهذا جهلة بدين المشركين، فالمشركون الذين بعث إليهم رسول الله كانوا يقولون: خالقي ورازقي ومالكي ومدبر الأمر هو الله، كانوا يقولون بهذا، لكن هل هذا يجعلهم مسلمين موحدين ؟

الجواب: لا، ولهذا قال الشيخ: **(قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ)**، مع أنهم يقولون أن الخالق والرازق والمدبر هو الله، ومع ذلك قاتلهم رسول الله، ولم يدخلهم اعترافهم وإقرارهم بربوبية الله لم يدخلهم في الإسلام؛ لأن الإنسان، لَا يَكون مسلمًا إِلَّا إذا عبد الله وحده لا شريك له، ولا يكفي أن تقول الخالق والرازق والمدبر هو الله، لا بد أن تفرد الله عز وجل بالعبادة، وأن تعبد الله وحده لا شريك له، وأن تؤمن وتعتقد أنه لا يستحق أحدٌ العبادة إلا الله عز وجل، بهذا تكون موحدًا، أما هؤلاء المشركون فإنهم اعترفوا بأن الخالق الرازق المدبر هو الله، وليس عندهم شك في ذلك، لكن هذا لم يدخلهم الإسلام، ولم يكف النبي صلى

الله عليه وسلم عنهم، بل قاتلهم، فلو قال قائل: ما هو الدليل بأنهم كانوا يقولون: الخالق الرازق المدبر هو الله ؟ فجاء الشيخ –رحمه الله تعالى– بآية من القرآن، والآيات كثيرة في القرآن: **(وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم مَنْ خَلَقَ السَّمَواتِ وَالأَرْضَ)** أي ولئن سالت المشركين أيها النبي: مَن خَلقَ السَّمَواتِ والأَرْضَ **(لَيَقُولُن)** أي ليقولن المشركون **(اللهُ)** خلقنا.

وقال سبحانه: **(وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم مَنْ خَلَقَهُم لَيَقُولُنَّ اللهُ)** وقال: **(قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ (٨٩))**.

وآيات كثيرة في القران، لكن المؤلف جاء بآية من سورة يونس هي من أجمع الآيات في إقرار المشركين بتوحيد الربوبية واعترافهم بربوبية الله جل وعلا.

فقال: **والدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالَى: (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ).**

منهم ؟ المشركون، أبو لهب وأبو جهل وعتبة بن أبي ربيعة وعقبة بن أبي معيط وغيرهم من المشركين، **(فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ)** إذن الله هو الذي يرزق من السماء والأرض، والله هو الذي يملك السمع والأبصار، والله هو الذي يخرج الحي من الميت، ويخرج والميت من الحي، والله هو الذي يدبر الأمر.

(فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ) تعلمون أن الله عز وجل هو الذي يفعل هذه الأشياء، أفلا تتقون الإشراك به، وأنتم تعلمون أنه الخالق الرازق المحيي المميت المدبر ؟! أفلا ترجعون إلى التوحيد وتعبدونه وحده لا شريك له؟! أفلا ترجعون إلى الحق ؟! **(فَمَاذَا بَعدَ الحقِّ إِلَّا الضَّلَالُ)**.

إذن هذه الآية تبين لنا أن المشركين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم الذين أُرْسِل إليهم كانوا يقرون بربوبية الله، بوجود الله بربوبيته بخلقه برزقه، أنه الخالق الرازق المالك المدبر، هل هذا يكفي في إسلامهم ؟

الجواب: لا، لماذا ؟

لأنهم عبدوا معه غيره، فلم يكونوا مسلمين؛ لأنهم عبدوا معه غيره، ما معنى عبدوا ؟ دعوا غيره معه، استغاثوا بغيره، ذبحوا لغيره، نذروا لغيره، إلى غير ذلك من أنواع العبادات التي كانوا يصرفونها لله، ويصرفونها لآلهتهم.

فإذن –بارك الله فيكم– هذا من المهِمَّات الذي يجهله كثيرٌ من المسلمين، يجهلون أن مشركي قريش كانوا يقرون بربوبية الله جل وعلا، وتجدهم يقرؤون القرآن، لكن ما يفقهون، ولا يفهمون القرآن؛ لأنهم ما تعلَّمُوا، ولا جلسوا لِيتعلموا، ولا سألوا، فتجد كثيرًا من المسلمين يعتمد على المسلسلات والأفلام، والمسلسلات والأفلام صورت أن كفار قريش كانوا ينكرون ربوبية الله، المسلسلات والأفلام التي تسمى تاريخية، وتسمى إسلامية، ربما تعرض في رمضان أو تعرض في المناسبات الدينية، تصور صورة مشوهة، وهي ن كفار قريش كانوا ينكرون وجود الله، ومن كفار قريش كانوا ينكرون ن الله هو الخالق الرازق، وكانوا يعتقدون في آلهتهم أنها تخلق وترزق، هذا كذب وتزوير لما جاء في القرآن، فإذا قرأت القرآن عرفت أن كفار قريش كانوا يقولون: ربي خالقي رازقي المالك هو الله عز وجل، هو المدبر لهذا الكون، ومع ذلك هذا لا يكفي في إسلامهم، بل هم مشركون؛ لأنهم عبدوا غير الله مع الله، عبدوا الله وعبدوا غيره، دعوا غير الله، استغاثوا بغير الله، ذبحوا لغير الله، كما أنهم دعوا الله، استغاثوا بالله، ذبحوا لله، نذروا لله، فقاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستباح دماءهم، وسبى نَساءهم وذراريهم؛ لأنهم مشركون، فهذا من المهمات، وهي قاعدة مهمة جدًا، أن تعرف أن كفار قريش مقرون ومعترفون، وما عندهم شك بأن الله هو الرب، هو الخالق، هو المدبر، طيب: لماذا عبدوا آلهتهم إذا كانوا يقرون بتوحيد الربوبية ؟! لماذا تقربوا إلى اللات والعزى ومناة ؟! لماذا تقربوا لها بالذبح والنذر والاعتكاف والدعاء والاستغاثة ؟!

الجواب: القاعدة الثانية تبين لك لماذا ذهب كفار قريش والمشركون بشكل عام في زمن النبي صلى الله عليه وسلم يتقربون لغير الله بالعبادات.

قال –رحمه الله–: **القاعدة الثانية: أَنَّهم يَقُولُونَ: مَا دَعَونَاهُم وَتَوجَّهْنَا إِلَيهِم إِلَّا لِطَلَبِ القُرْبَةِ وَالشَّفَاعَةِ، فَدَلِيلُ القُرْبةِ قَولُه تَعَالَى: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ) وَدَلِيلُ الشَّفَاعةِ قَولُه تَعَالَى: (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَضُرُّهُم وَلَا يَنْفَعُهُم وَيَقُولُون هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ).**

إذن الآن يأتي السؤال بعد أن عرفنا القاعدة أنهم مقرون بالربوبية أن الرب هو الذي يفعل هذه الأشياء يدبر يرزق يحيي ويميت، طيب لماذا توجهتم إلى هذا الآلهة، ودعوتموها مع الله، واستغثتم بها، وذبحتم لها، وعكفتم عندها ؟

الجواب: مَا دَعوناَهم وتوجهنا إليهم إلا لطلب القربة والشفاعة، نحن ما نعتقد أن هذه الآلهة اللات والعزى وهبل ومناة وغيرها من الآلهة، لا نعتقد أنها تخلق، وترزق، وتضر، وتنفع، ولا نعتقد أنها تحيي وتميت، لكن نحن عبدناها، ودعوناها، وتجوهنا إليها بالذبح والنذر والقرابين، وتوجهنا إليها إلا لطلب القربة والشفاعة، يعني يريدون يتقربون إلى الله عز وجل، ويريدون أن ترفع لهم الطلبات إلى الله، وتشفع لهم عند الله.

إذن: ذبحوا لهذه الآلهة، دعوها، استغاثوا بها، عكفوا عندها، نذروا لها؛ من أجل أنهم يعتقدون أنها تخلق وترزق ؟

الجواب: لا، لكن من أجل أن تقربهم إلى الله، ومن أجل أن تشفع لهم عند الله، قالوا هذه الآلهة هي للصالحين، فهي أحسن منزلة عند الله منا، فهي ترفع الطلبات، وتشفع لنا عند الله عز وجل، وأما نحن حالتنا سيئة، فنحن نجعل هذه الآلهة واسطة بيننا وبين الله، فنتقرب إلى هذه الواسطة بعبادات: ذبح ونذر ودعاء واستغاثة وعكوف وغير ذلك من أنواع العبادات، إذن تُقَرِّبُنَا من الله، وتشفع لنا عند الله.

إذن هذا مقصدهم، وهذه عقيدتهم، وما الدليل على أنهم يريدون بهذه العبادات التي توجهوا بها إلى آلهتهم القربة والشفاعة ؟

الجواب: الآية من سورة الزمر، قال: **فَدَلِيلُ القُربةِ قَولُه تَعَالَى**: **(وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ)** هؤلاء المشركون اتخذوا من دون الله أولياء، هؤلاء الأولياء قد يكونوا من الأنبياء، قد يكونوا من الصالحين، قد يكونوا من الملائكة من الأحجار من الأشجار، من الكواكب الشمس القمر، **(مَا نَعْبُدُهُمْ)** كيف يعبدونهم ؟ بدعائهم، بالاستغاثة بهم، بالذبح لهم، بالنذر لهم، **(نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى)** آية واضحة من القرآن، لكن أكثر المسلمين لا يعلمون، أكثر المسلمين جهال، فكانت عبادة المشركين لآلهتهم ليقربوهم إلى الله زلفى، يطلبون القربة من الله، فيقال لهم: تقربوا إلى مباشرة، لماذا تجعلون بينكم وبينه واسطة ؟! تقربوا إليه مباشرة ! ادعوه، استغيثوا به، توكلوا عليه، اذبحوا له، انذروا له، **(وَقَالَ رَبُّكُم ادْعُونِي اسْتَجِبْ لَكُم) (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ)**.

ليش تدعو الآلهة، ليش تجعل بينك وبينه واسطة ؟

الجواب: لترفع الطلبات إلى الله.

بماذا حكم الله عليهم ؟

(إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ) فالله كذَّبهم، وحكم عليهم بأنهم كذبة كفرة، منهم ؟ الذين أقروا أن الله الخالق الرازق المدبر المتصرف في كل شيء، لكن جعلوا بينه وبينهم واسطة؛ يدعونها، ويستغيثون بها، ويذبحون لها، فجعلهم الله كذبة كفرة ، كذبة؛ لأنهم قالوا ليقربونا إلى الله، هذا كذب؛ فهؤلاء ما سيقربونكم إلى الله، كذبة في هذا، وكفرة؛ لأنهم عبدوهم، أي دعوهم، واستغاثوا بهم، وذبحوا لهم، فجعلهم الله عز وجل كفرة.

فإذا جاءنا شخص، وقال: أنا أدعو العيدروس، وأستغيث به، وأنذر له، وأنا أعلم أن الله الخالق الرازق المدبر المالك، لكن العيدروس عنده مكانة عند الله، فأنا أتقرب إليه بهذه القرابين؛ ليقربني إلى الله، فإيش تحكم على هذا الفعل ؟

الجواب: نفس فعل كفار قريش، وإيش حكم الله عليهم ؟ الجواب: كذبة كفرة فهذا كذب وكفر .

فأنت تكذب عندما تقول العيدروس يقربك إلى الله، ويشفع لك عند الله، والذي تفعله من الدعاء والذبح والنذر له هذا كفر.

فهذه آية واضحة، أن هؤلاء المشركين، أقروا بتوحيد الربوبية، لكنهم توجهوا لغير الله، بعبادات ليحصل لهم التقرب إلى الله.

وأما الشفاعة فقوله سبحانه: **(وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَضُرُّهُم وَلَا يَنْفَعُهُم وَيَقُولُون هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ)** أي يعتقدون أن هذه الآلهة: مناة العزى هبل، أنها لا تنفع ولا تضر استقلالًا من دون الله عندهم عقيدة، أنه لا ينفع ولا يضر إلا الله سبحانه، طيب لكن لماذا توجهتم إليها بالذبح والنذر والدعاء والاستغاثة ودعوتها مع الله وأنتم تعتقدون أنها لا تضر ولا تنفع ؟

الجواب: ويقول المشركون **(وَيَقُولُون هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ)** ويقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، يرفعون الطلبات، فيعتقدون أنها تشفع لهم في الأمور الدنيوية؛ فهم لا يؤمنون باليوم الآخر، فيريدون الشفاعة في الرزق، فبدل أن يطلبوا الرزق من الله، يدعو الآلهة والأصنام، ويستغيثوا بها، ثم هي تطلب لهم الرزق من الله، فإذا جاءتهم الأمطار، وحصلت الثمار والزروع، قالوا: هذا بشفاعة آلهتنا، لما تقربنا إليها شفعت لنا، فأنزل الله الأمطار، وجعل الأرض خصبة، وأخرج الثمار والزروع، فيشفعون لهم في أمور دنيوية، وإذا حصل لهم الولد، قالوا: هذا بشفاعة آلهتنا، نحن نتقرب إليها بعبادات، وهي تشفع لنا عند الله في حصول الولد والعز والنصر، فإذا كانوا في حرب مع غيرهم، فحصل لهم النصر، قالوا: هذا بشفاعة آلهتنا؛

ولهذا أبو سفيان يوم أحد قال: اعْلُ هُبل، اعْلُ هُبل: أي أن هذا النصر حصل لنا بشفاعة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(رُدُّوا عَلَيهِ)** قالوا: مَاذَا نَقُولَ ؟ قال: **(قُولُوا: اللهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ)** فقال أبو سفيان: لَنَا العُزَّى ولا عزى لكم: أي لنا العزى، نتقرب لها، وتشفع لنا عند الله، فيحصل لنا النصر، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **(رُدُّوا عَلَيهِ)**، قالوا: مَاذَا نَقُولُ ؟ قال: **(قُولُوا: اللهُ مَولَانَا وَلَا مَولَى لَكُم)**.

فكانوا يعتقدون أن النصر يحصل بسبب شفاعة الآلهة، فيتقربون لها بالعبادات، وهم يعلمون أنها لا تضر ولا تنفع.

وهكذا اليوم تجدهم يتقربون للعيدروس، يتقربون للجيلاني، يتقربون لعلي، يتقربون للحسين، يتقربون للبدوي، بالذبائح والنذور والقرابين والأموال والذهب والسمن والعسل، ليش ؟ قالوا: ليشفعوا لنا عند الله، هذا نفس حال المشركين، وهذه فائدة القواعد الأربع، تحكم على الفعل بأنه نفس الفعل؛ لأنه نفس الفعل والمقصد.

إذن هاتان قاعدتان مهمتان: أنهم يقرون بتوحيد الربوبية، لكنهم توجهوا لغير الله بعبادات، يطلبون القربى والشفاعة، فكفرهم الله، وكذبهم.

قال -رحمه الله تعالى-: **وَالشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَان: شَفَاعَةٌ مَنْفِيةٌ، وَشَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ، فَالشَّفَاعَةُ المَنْفِيةُ مَا كَانْتَ تُطْلَبُ مِنْ غَيرِ اللهِ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيهِ إِلَّا اللهُ، وَالدَّلِيلُ: قَولُه تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا انْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِي يَومٌ لَا بَيعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ) وَالشَّفَاعَةُ المُثْبَتَةُ هِي التِي تُطْلَبُ مِنَ اللهِ، وَالشَّافِعُ مُكْرَمٌ بِالشَّفَاعَةِ، وَالمشْفُوعُ لَهُ مَنْ رَضِيَ اللهُ قَولَهُ وَعَمَلَهُ بَعْدَ الإِذْنِ، كما قال تعالى: (مَنْ ذَا الذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ)**:

بعد أن بين المؤلف -رحمه الله تعالى- القاعدة الثانية، وهي أن هؤلاء المشركين توجهوا إلى آلهتهم بالعبادات إلا لأجل الشفاعة والقربة، فذكر المؤلف أمر الشفاعة، وأن هذه التي يرجونها من آلهتهم شَفاعة منتفيةٌ، فلا يشفع أحد عند الله إلا بإذن الله بعد الرضى عن الشافع، وعن المشفوع له، فجاء المؤلف -رحمه الله تعالى- بهذه المسألة العظيمة **(مسألة شفاعة)**.

فالآن المؤلف ذكر أمرها لنعرف ما هي الشفاعة ؟ وكم أقسامها ؟ ليبين أن تلك التي رجوها من آلهتهم تقربوا إلى آلهتهم بالعبادات، وعبدوها مع الله، من أجل أن تشفع لهم، لن يحصلوا على شفاعة من آلهتهم، ولن تشفع لهم هذه الآلهة عند الله إلا بإذن الله، وبعد أن يرضى الله عن الشافع وعن المشفوع له،

وسيظهر لنا أن الله لا يرضى عن مشرك، لا يرضى عن كافر، فلهذا لا شفاعة لكافر، إلا كافر واحد، وسيأتي ذكره، وإلا فما عداه من الكفار والمشركين فلا شفاعة لهم؛ لأنهم مشركون.

وأبو هريرة رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: مَنْ أَسْعَد النَّاس بِشَفاعَتِك، قال صلى الله عليه وسلم: **(مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ)**.

وهؤلاء المشركون ما قالوا: "لا إله إلا الله" وكذلك المنافقون، قالوها لكن بلا إخلاص؛ لأنهم يكفرون في بواطنهم، فلا شفاعة لكافر، فناسب أن يأتي المؤلف بهذه المسألة العظيمة (مسألة الشفاعة) وكأنه يقول: هذه الشفاعة التي رجوتموها عند هؤلاء الأولياء، وعند أصحاب القبور والأصنام والأحجار والأشجار، هي شفاعة منتفية، ولن تقبل فيكم شفاعة؛ لأنكم مشركون.

قال -رحمه الله-: **وَالشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَانِ: شَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ وَشَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ:**

الشفاعة مأخوذة مِنَ الشَّفع، والشفع ضد الوتر، والوتر واحد، والشفع اثنان: أي زوج، فهذا معنى الشفاعة، كان الطالب واحدًا، فجاء الشافع، وضم صوته إلى الطالب، فصارا شفعًا، بعد أن كان واحدًا، هذا في اللغة.

وتعريفها: هي التوسط للغير لجلب الخير، سواء كان الخيرُ جلبَ منفعة، أو دفع مضرة، فيشفع النبي صلى الله عليه وسلم في رفع درجات المؤمنين في الجنة، فهذا جلب منفعة، ويشفع النبي صلى الله عليه وسلم في المؤمنين في أن يرفع الله درجاتهم في الجنة، وفي الحديث: **(اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِينَ)** أي في الجنة، هذا جلب منفعة ، ويشفع لأُناس من المؤمنين دخلوا النار، فيخرجوا منها، أو استحقوا النار ألا يدخلوها، فهذا دفع مضرة، فهي توسط للغير في جلب الخير .

ثم بيَّن –رحمه الله– أقسامها، فقال: **والشَّفَاعَة شَفَاعَتانِ، شَفَاعةٌ مَنْفِيَّةٌ، وَشَفَاعَةٌ مُثْبَتةٌ:** في القران بشكل عام تنقسم إلى قسمين: منفية ومثبتة.

فالمنفية: التي تسبق بحرفٍ من حروف النفي، كـ(ليس، ولا، وما، أو أداة من أدوات النفي) فإذا وجدت هذه الشفاعة سبقتها أداة من أدوات النفي، فاذا وجدت هذه الشفاعة سبقتها أداة نفي، فاعلم أن هذه منفية.

والشفاعة المثبتة كيف تعرفها في القرآن، وما هو ضابطها ؟

الجواب: الشفاعة المثبتة ضابطها: هي التي لا يسبقها أداة من أدوات النفي، فهذا به تُعرف الشفاعة المثبتة من المنفية.

وأما الشيخ –رحمه الله فقد عرف الشفاعة بنوعيها، فقال: **فَالشَّفَاعَةُ الْمَنْفِيَّةُ: مَا كَانَتْ تُطْلَبُ مِنْ غَيرِ اللهِ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيهِ إِلَّا اللهُ**: كأن تطلب الشفاعة من ميت، تطلب الشفاعة تقول: يا فلان، يا ولي، يا أيها النبي الفلاني –وهو ميت–: اشفع لي، فالآن طلبت منه شيئًا لا يستطيع ولا يقدر عليه، فهذه الشفاعة منفية.

وهكذا شفاعة المشركين التي تُطلب من غير الله عز وجل كالأموات والأصنام الأشجار والكواكب والملائكة، فهم في الحقيقة لا يقدرون عليها، فهذه هي الشفاعة المنفية؛ لأنها طلبت من غير الله.

قال سبحانه: **(وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَضُرُّهُم وَلَا يَنْفَعُهُم وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللهِ)**.

فإذا حصل لهم النصر أو الرزق أو حصل لهم الأمور الدنيوية من جلب الخير أو دفع الشر، فإنهم يقولون: هذه بشفاعة آلهتنا.

إذا طلبوا الشفاعة من غير الله، فكانت هه الشفاعة منفية باطلة.

ويمكن أن تقول: الشفاعة المنفية هي ما اختل فيها شرط من شروط الشفاعة، وسيأتي ذكرها.

الشفاعة المنفية في القرآن، ما هو الدليل عليها ؟

قال الشيخ –رحمه الله تعالى–: **والدليلُ قولُهُ تَعَالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَومٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ)** انظر، سبقت كلمة (**شَفَاعَةٌ**) "لا النافية"، فهذه الشفاعة المنفية.

وهكذا قوله عز وجل: **(فَمَا تَنْفَعُهُم شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ)** ما: هذه ما نافية.

ويقول الله عز وجل: **(مَا لَهُم مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ)** فقوله: (مَا لَهُم) ما نافية.

وهكذا يقول الله عز وجل: **(لَيسَ لَهُم مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ)** ليس: أداة نفي.

فهذه الشفاعة المنفية في القرآن هي التي تطلب من غير لله، أو قل: هي التي اختل فيها شرط من شروط الشفاعة.

قال –رحمه الله– : **وَالشَّفَاعَةُ الْمُثْبَتَةُ هِيَ الَّتِي تُطْلَبُ مِنَ اللهِ**: لماذا تُطلب من الله ؟

الجواب: لأن الله هو الذي يملكها، هو سبحانه الذي يملك الشفاعة، قال تعالى: **(قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا)** فقوله: (قُلْ لِلَّهِ) اللام لام الملك، فالشفاعة مِلكٌ لله، فإذا كانت ملك لله، كما أن الرزق بيد الله، فَتُطلبُ مِن مَنْ ؟

الجواب: تطلب من مالكها، وهو الله سبحانه، فكما أنك تطلب الرزق من الله، وتطلب الشفاء من الله، وتطلب الخير من الله، فمن هذا الخير الشفاعةُ، فتطلبها من الله جل وعلا، فتقول: اللهُمَّ شَفِّعْ فِيَّ نَبِيَّك، اللهُمَّ شَفِّعْ فِيَّ أَوْلِيَاءَك الصَّالِحِينَ أَو عِبادكَ المؤْمِنينَ، فتطلبها من الله عز وجل.

وحقيقة هذه الشفاعة، والمقصد منها في قوله –رحمه الله– : **وَالشَّافِعُ مُكْرَمٌ بِالشَّفَاعَةِ، وَالمشْفُوعُ لَهُ مَنْ رَضِيَ اللهُ قَولَهُ وَعَمَلَهُ بَعْدَ الإِذْنِ.**

فالمقصود من الشفاعة: إكرام الشافع، ونفعٌ للمشفوع له، فالله يكرم الشافع بأنه يأذن بشفاعته، ويقبلها، فهذا إكرام للشافع، وإظهار لمنزلته أمام الخلق، وفيه نفع لمن للمشفوع؛ لأن هذا الشافع يتوسط له عند الله في جلب الخير، أو في دفع مضرة.

قال –رحمه الله– : **وَالشَّافِعُ مُكْرَمٌ بِالشَّفَاعَةِ وَالمشْفُوعُ لَهُ مَن رَضِيَ اللهُ قَولَه وَعَمَلَهُ بَعدَ الإذن:**

هذه شروط الشفاعة، وهي اثنان:

١- الرضا ، أن يرضى الله عز وجل عن الشافع وعن المشفوع له.

٢- الإذن ، أن يأذن الله بالشفاعة.

طيب: إذا كان هذا شَرطٌ، فإذا لا يدخل في هذا الكفارُ المشركونَ، لا يمكن أن يكون المشرك شافعًا ولا مشفوعًا له، انظر كيف خاب المشركون، وخسر مبطلون، فَظنوا أن هذه الآلهة تَشفع لهم، لكن الله لا يرضى عن المشرك، وهؤلاء مشركون بالله، فلا يمكن أن يكون المشركُ لا شافع، ولا مشفوع له، إلا واحد من المشركين، وهو أبو طالب، سيكون مشفوع له، هذا المشرك الوحيد الذي شفع فيه النبي صلى الله عليه وسلم شفاعة خاصة به صلى الله عليه وسلم، في عمِّه أبي طالب، وإلا من شرط الشفاعة: الرضا عن الشافع له،

إذن لا يكون الشافعُ مُشركًا، ولا يكون الشافع ولا المشفوع له مشركًا؛ لأن الله يقول: **(وَلَا يَرْضَى**

لِعِبَادِهِ الكُفْرَ) فَلا يَرضى الله عن الكافرين، وَلا عن الفاسقين فسقًا أكبر، (إِنْ تَرْضَوا عَنْهُم فَإِنَّ اللهَ لَا يَرْضَى عَنِ القَومِ الفَاسِقِينَ) يعني أهل النفاق.

والشرط الثاني: الإذن، أن يأذن الله عز وجل للشافع بأن يشفع، يقول له: اشفع. ويأذن بالشفاعة، فإذا أذن الله عز وجل قام الشافع ليشفع، وهذا يوم القيامة.

طيب ما هو الدليل على هذين الشرطين ؟

الجواب: ذكر الشيخ -رحمه الله تعالى- آية الكرسي من سورة البقرة: (مَنْ ذَا الذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) أي لا أحد يشفع عنده إلا بإذنه، حتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فإنه لا يشفع إلا بعد الإذن، يأتي، فيسجد تحت العرش، فيحمد الله جل وعلا بمحامد لا يحسنها إلا يومئذ، ثم يقال له: **(يا محمد، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَى، وَاشْفَعْ تُشَفَّع)**.

هذا الإذن: **(وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ)** تقبل شفاعتك، فهذا الإذن .

والرضا في قوله عز وجل: (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَا لِمنِ ارْتَضَى).

قوله: (وَلَا يَشْفَعُونَ): أي الملائكة (إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى).

فإذن هذه الآية تدل على الرضا عن الشافع وعن المشفوع له، لابد من رضا الله، وجمعت آية النجم بين الشرطين، فقال الله عز وجل: (وَكَمْ مِن مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُم شَيئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى) فهذه الآية جمعت بين الإذن والرضا.

وهكذا في سورة طه: (وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا) فجمعت الآية بين الإذن والرضا.

مسألة: متى تَشفعُ لأخيك المسلم ؟

الجواب: في الحديث: **(إِذَا مَاتَ العَبدُ فَقَامَ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ يُصَلُّونَ يَشْفَعُونَ لَهُ إِلَّا قُبِلَتْ شَفَاعَتَهُم)** وفي حديث جاء أنهم مائة، يشفعون له عندما يموت الميت، فيصلي عليه أربعون، لا يشركون بالله شيئا، كما جاء في الحديث، فهم يشفعون له في صلاة الجنازة، أي يدعون له، وهذا هو المقصود من صلاة الجنازة، إخلاص الدعاء للميت، تدعو له: اللهم اغفرْ له، اللهم ارحمه، اللهم

افسح له في قبره، أبدله دارًا خيرا من داره، تشفع، لأن الشفاعة هي دعاء تدعو الله عز وجل لهذا المسلم بالخير، لكن أين الإذن من الله عز وجل ؟

الجواب: الحديث: (**إِلَّا شَفَّعَهُم اللهُ فِيهِ**) فهذا إذن من الله بالشفاعة، وشرع لهم صلاة الجنازة ليشفعوا للميت.

والإذن ينقسم إلى قسمين: إذن شرعي، وإذن كوني، والمراد في الإذن في الحديث الإذن الشرعي .

وفي قوله صلى الله عليه وسلم: (**أَرْبَعُونَ لَا يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيئًا**) فالله يرضى أهل التوحيد فقط، لا يشركون بالله شيئًا، فهم أهل توحيد لله، والله يرضى عن أهل التوحيد: (**وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُم**) أي توحدوا الله تعبدوا الله وحده.

أيضًا –بارك الله فيكم– مما يلحق بهذا تقسيمٌ آخر، وهو أن الشفاعة المثبتة تَنقسم إلى قسمين لا سيما يوم القيامة: شفاعة عامة وشفاعة خاصة، أما الشفاعة الخاصة فهي خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم، وهذه الشفاعة الخاصة ثلاثة أقسام:

١- شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الموقف، يشفع لهم عند الله أن يقضي الله بينهم، هذه تسمى بالشفاعة العظمى، وهي –كما مر– خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم، يأتي الناس إلى آدم إلى نوح إلى إبراهيم إلى موسى إلى عيسى: اشفعوا لنا عند الله في أن يخلصنا مما نحن فيه، ويقضي بيننا كلهم يقول: "**لست لها**"، إلا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، يقول: (**أَنَا لَهَا**)، فيأتي، فيسجد تحت العرش، ويحمد لله بمحامد، ثم يقال له: (**ارْفَع رَأسَك، وَقُل يُسمَع، وَاشْفَع تُشفَّع**) هذه الشفاعة العظمى، وهي التي تسمى بـ(المقام المحمود) يحمده كلُ الخلائق على هذا المقام، عليه الصلاة والسلام.

٢- شفاعته صلى الله عليه وسلم لفتح أبواب الجنة، فأبواب الجنة لا تُفتح إلا بعد أن يشفع النبي صلى الله عليه وسلم في فتحها، فيقرع الباب، فيقول له الملك: مَن ؟، فيقول: (**مُحَمَّدٌ**)، فيقول الملك: "بك أمرت ألا أفتح لأحد قبلك".

٣- شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب، عمه أبو طالب مات على الشرك، فهو من أهل النار، خالدًا مخلدًا فيها، لكن نفعه النبي صلى الله عليه وسلم في التخفيف عنه، ليس في الخروج؛ لأنه لا يخرج من النار مشرك، قال العباس بن عبد المطلب للنبي صلى الله

عليه وسلم: "بماذا نفعت عمك يا رسول الله ؟" فقال: **(لَولَا أَنَا لَكانَ فِي الدَّركِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّار)** أي: لولا شفاعتي، لكان في الدرك الأسفل من النار، فشفع له النبي صلى الله عليه وسلم في أن يخفف الله عنه العذاب، قال: **(فَهُو فِي ضَحْضَاحٍ، عَليهِ نَعلانِ، يَغلِي مِنهُمَا دِمَاغُه)** أي: نعلان من نار، يغلي منهما دماغه -نسأل الله السلامة والعافية-، وهو يظن أنه أشد الناس عذابا، وهو أهون أهل النار عذابًا من الكفار، بسبب شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم، فهذه الشفاعة خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب فقط؛ لأنه كان يحوطه ويحميه وينصره ويذب عنه.

وأما الشفاعة العامة فهي عامة للنبي صلى الله عليه وسلم ولغيره من الأنبياء والمؤمنين والملائكة والشهداء، كلهم يشفعون، قال الله عز وجل في الحديث القدسي: **(شَفَعَتِ الأَنْبِياءُ، وَشَفَعتِ الملَائِكةُ، وَشَفَع المؤْمِنُون، وَبَقِي أَرْحَم الرَّاحِمِين)** وهي أنواع:

الأول: شفاعة في قوم استحقوا النار ألا يدخلوها، رجحت كفة السيئات على كفة الحسنات، فاستحقوا النار، فيشفع فيهم الأنبياء، ويشفع فيهم الملائكة، ويشفع فيهم المؤمنون، ألا يدخلوا النار، فلا يدخلوها، فهذا دفع مضرة.

الثاني: شفاعة في قوم دخلوا النار أن يخرجوا منها، وهم أصحاب الكبائر الذين ماتوا بغير توبة، وشاء الله أن يعذبهم في النار، فهناك من المؤمنين من أصحاب الكبائر، هم تحت مشيئة الله، إن شاء الله أن يعفو عنهم، فلا يدخلهم النار، ويدخلهم الجنة، وإن شاء عذبهم قدر ذنوبهم، فهم تحت المشيئة، والله يفعل ما يشاء: **(لَا يُسأَلُ عَمَّا يَفعَلُ وَهُم يُسْأَلُونَ)** فهؤلاء دخلوا النار بسبب الكبائر، وكان سبب خروجهم، والحظ الأوفر والنصيب الأكبر للنبي صلى الله عليه وسلم، فيخرج أقوام في المرأة الأولى، ويشفع الشفاعة الثانية، ويخرج أقوام، ويشفع الشفاعة الثالثة، ويخرج أقوام، ويشفع الشفاعة الرابعة، ويخرج اقوام، أربع مرات، كما جاء في الحديث الصحيح، يحد له ربنا عز وجل أربع مرات، هكذا الملائكة والمؤمنون: "يا رب إخوانًا لنا كانوا يصلون معنا" فيذهبون ويشفعون لإخوانهم في الخروج من النار، فصاحب المؤمنين، صاحب الصالحين؛ لعلنا ندرك شفاعة من شفاعتهم يوم القيامة، فيكون هذا السبب في دفع مضرة أو جلب منفعة.

الثالث: شفاعة في رفع الدرجات في الجنة للمؤمنين، فهو يشفع لأقوام دخلوا الجنة أن يرفع الله درجاتهم، فيزدادوا من النعيم، ويستدل لها بقول النبي صلى الله عليه وسلم لما زار أبا سلمة في مرض موته: (**اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين**).

فهي ست شفاعات، ثلاث عامة، وثلاث خاصة.

قال –رحمه الله– : **القَاعِدَةُ الثَّالِثَةُ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم عَلَى أُنَاسٍ مُتَفَرِّقِينَ فِي عِبَادَاتِهِم، مِنْهُم مَنْ يَعْبُدُ المَلَائِكَةَ، وَمِنْهُم مَنْ يَعْبُدُ الأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ، وَمِنْهُم مَنْ يَعْبُدُ الأَحْجَارَ وَالأَشْجَارَ، وَمِنْهُم مَنْ يَعْبُدُ الشَّمسَ وَالقَمَرَ، وَقَاتَلَهُم رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُم، وَالدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالَى:** (وَقَاتِلُوهُم حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَة وَيَكُونَ الدِّينُ للهِ).

ودليل الشمس والقمر قوله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ).

ودليل الملائكة قوله تعالى: (وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً).

ودليل الأنبياء قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ).

ودليل الصالحين قوله تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ).

ودليل الأشجار والأحجار قوله تعالى: (أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى).

وحديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: "خَرجْنَا مَع النَّبي صلى الله عليه وسلم إِلَى حُنينٍ، وَنَحنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُم، يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ، كَمَا لَهُم ذَاتُ أَنْوَاطٍ". الحديث:

الشرح

هذه القاعدة الثالثة من القواعد الأربع التي مَن فَهِمَهَا وَعَقِلَهَا فَهِمَ وَعَقِلَ دِينَ المرسلين ودين الإسلام الذي جاء به نبينا صلى الله عليه وسلم، وعرف التوحيد الذي من أجله خلق الله الخلق، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل، وهكذا إذا عقل هذه القواعد الأربع وفهمها أيضا عَرفَ وَعَقِلَ دِينَ المشركين الذين بُعِثَ إِليهم رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم.

وقد مرت معنا القاعدة الأولى، وهي أن كفار قريش كانوا يقرون بتوحيد الربوبية، ويعترفون بلا شك ولا ريب أن الله هو الخالق الرازق، وأنه المدبر المتصرف، وأنه المالك لكل شيء، لكن توجهوا إلى معبوداتهم، وتوجهوا إلى آلهتهم، وعبدوها مع الله، فدعوها واستغاثوا بها، وذبحوا لها، ونذروا لها، لا لأجل أنهم يعتقدون أنها تخلق أو ترزق، وإنما لأجل أن تقربهم إلى الله جل وعلا، وأن تشفع لهم عند الله تبارك وتعالى.

فهاتان قاعدتان تقدمتا، ثم ذكر أن هذه الشفاعة التي تتعلق بها، والتي رجوها من آلهتهم، أنها منفية، لا تشفع لهم؛ لأنهم مشركون، فإذا أرادوا الشفاعة فعليهم أن يتوبوا إلى الله، ويتركوا الشرك، ويوحدوا الله جل وعلا، ويفردوا الله بالعبادة، فهنا سينالون الشفاعة بإذن الله عز وجل، بعد إذنه ورضاه، لكن عليهم أن يتوبوا، وأن يستقيموا على التوحيد وعلى شرع الله، وأن يتركوا الشرك، ويخلعوا الأنداد، ويفرضوا الله عز وجل بالعبادة وحده لا شريك له، أما وهم على هذه الحال سواء كان في زمن صلى الله عليه وسلم أو في زمننا ما دام أنهم متعلقين بالأموات والأولياء، ويدعونهم، ويستغيثون بهم، ثم يرجون شفاعتهم، فلا شفاعة لهم إلا أن يتوبوا، ويوحدوا الله، وفي الحديث قال أبو هريرة: مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قال: **(مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ)** موحد، لا يشرك بالله أبدا، ويفرد الله جل وعلا بالعبادة، ويبغض عبادة ما سوى الله، ويتبرأ منها غاية التبرؤ، فَذَكر –رحمه الله تعالى– الشفاعة المنفية، والشفاعة المثبتة، ثم أتى الآن بالقاعدة الثالثة، وهي أن النبي صلى الله عليه وسلم ظهر على أناس متفرقين في عباداتهم إذن ما كانوا يعبدون شيئًا واحدًا كالأصنام مثلًا أو كالأحجار مثلا، أو كالأشجار مثلا، وهذا الذي يعتقده عباد القبور، فعباد القبور اليوم وفي زمن المؤلف –رحمه الله تعالى– فإنهم يقولون: نحن نتوجه إلى الأولياء، وأما هذه الآيات التي في الشرك في القرآن هذه فيمن عبد الأَحجارَ والأصنام والأشجار، أما نحن فلا ندخل في الآيات، ولا ندخل تحت هذه الآيات، ولا ندخل في الشرك، وليست

تخاطبنا؛ لأن هؤلاء توجهوا إلى أحجار وأشجار، أما نحن تعلَّقْنَا بالأولياء والأنبياء، فجاء المؤلف –رحمه الله تعالى– بهذه القاعدة كأنه يرد عليهم، فهي ردٌّ عليهم، أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بعثه الله إلى النَاس كافة بعثه إلى أناس مختلفين في عباداتهم، فمنهم كان يعبد الحجر، منهم من كان يعبد الشجر، ومنهم من كان يعبد الحجر كالأوس والخزرج، كانوا يعبدون مناة، وهي حجرة **(وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى)** فهي صخرة، ومنهم من كان يعبد الشجر، وهم أهل مكة، كانوا يعبدون العُزى، وهي شجرة، وكانوا يعبدون هُبَل، هو حجر، صنم، وهكذا أهل الطائف كانوا يعبدون اللاتَ، وهو رجل صالح، كَانَ يَلُتُّ السَّويقَ للحجيج في موسم الحج، ويطعم الحجاج، فهو رجل صالح، فمات، فعكفوا على قبره، ثم بنوا عليه الصخرة كالبيت، يعني مثل الغرفة، فجعلوه في الصخرة، ولهذا عندنا قراءتان في سورة النجم: **(أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ والعُزَّى)** اللات صخرة، قراءة ثانية: **(أَفَرَأَيتُم اللَّاتَّ)** اسم فاعل من يَلُتُّ، وهو الرجل الذي كان يلت السويق (الحجيج)، ويطعم الحجيج، فلما مات عكفوا على قبره، ثم عبدوه مع الله جل وعلا، فعبدوا رجلا صالحًا إذن عبدوا الصالحين.

وهكذا النصارى يعبدون عيسى، وهو نبي من الأنبياء، ويعبدون أُمَّه، وهي من الصالحات، وهكذا اليهود عبدوا عزيرًا، وهو رجل من الصالحين من العلماء، وعبدوه مع الله جل وعلا، وهكذا من الكفار في مكة وغيرها عبدوا الملائكة، والملائكة صالحون.

إذن هؤلاء عُبَّاد القبور وعلماء السوء والضلالة وعلماء الشرك، الدعاة إلى الشرك يصورون للناس أن هؤلاء الذي يحصل عند القبور الأولياء لا يدخل تحت هذه الآيات؛ لأن هذه الآيات إنما تخاطب الذين يعبدون الأشجار والأحجار والأصنام، أما نحن فعندنا أولياء، فيقال لهم: وكذلك أولئك كانوا يعبدون أولياء، ويعبدون أنبياء؛ ولهذا يقول الله عز وجل: **(وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ)** أصنامًا ؟! **(وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ)** هذه الآيات تصفعهم صفعًا.

وهكذا في سورة الأعراف: **(اتَّبَعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيكُم مِنْ رَبِّكُم وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ)** .

وأيضا كان المشركون منهم من يعبد الملائكة، نعم زين لهم الشيطان عبادة الملائكة، وكانوا يعتقدون أنها بناتُ الله، كما قال الله جل وعلا: **(وَجَعَلُوا الملَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُم)** ويقول الله يوم القيامة للملائكة: **(وَيَومَ يَحْشُرُهُم جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُم كَانُوا يَعْبُدُون)** وهذا السؤال للملائكة المراد به توبيخُ وتَقرِيعُ مَن عَبدَ الملائكةَ، فقال الملائكة: **(قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِن دُوْنِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الجِنَّ أَكْثَرُهُم مُؤْمِنُونَ)** فالشياطين هي التي زينت لهم عبادة الملائكة.

وكمثل سؤال الله للموءودة، تُسألُ هذه الموءودة المقتولة المدفونة التي دفنت حيًا، تُسأل: **(وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ)** هذا سؤال تقريع وتوبيخ لقاتليها: بأي ذنب قُتلت ؟!.

ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين، يعبد الأنبياء، يعبدون عيسى، ويعبدون عزيرًا، ويعبدون مريم.

وما معنى يعبدون ؟ الجواب: يعني يتقربون لهم بعبادات كالدعاء، يدعونهم ويستغيثون ويذبحون وينذرون، عبادات يتقربون بها إلى الأنبياء والصالحين، والأنبياء والصالحين براءوا والأنبياء من هذه العبادة.

ومنهم من يعبد الشمس والقمر، ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن نصلي بعد الفجر، وبعد العصر، ويمتد هذا النهي إلى أن تَغرب الشمس، وإلى أن تطلع الشمس، وجاء نهي أيضا في خصوص طلوع الشمس، وخصوص غروب الشمس، فلا يُتحرى الصلاة عند ذلك؛ لأن عابديها يسجدون في ذلك الوقت، فيحصل التشبه بعباد الشمس، فهناك مِن الناس الذين بُعث إليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مَن يعبد الشمس، ويعبد القمر.

إذن المعبودات التي كان يتوجه إليهم الكفار في زمن النبي صلى الله عليه وسلم هل هي نوع واحد ؟

الجواب: لا، أنواع، منهم من الأنبياء، ومنهم من يعبد الصالحين، منهم من يعبد الشمس، منهم من يعبد القمر، منهم من يعبد الكواكب، منهم من يعبد الأشجار، منهم من يعبد الأحجار، منهم من يعبد الملائكة، منهم من يعبد الجن.

فهنا يأتي السؤال: هل فرَّق بينهم النبي صلى الله عليه وسلم، فقال الذي يَعبد الأنبياء هذا لا نكفره ولا نقاتله، وهكذا الذي يعبد الصالحين، أما الذي يعبد الأشجار والأحجار هذا سنقاتله، هل قال هذا النبي صلى الله عليه وسلم ؟!

الجواب: لا، فلذلك يقول الشيخ: **(وَقَاتَلَهُم رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَلَمْ يُفَرِّقْ بَينَهُم)** لماذا لم يفرق بينهم ؟

الجواب: لا؛ لأنهم كلهم مشركون، بقطع النظر عن المعبود الذي توجهوا إليه في العبادة، لا ننظر إلى المعبود الذي توجهوا إليه، ننظر أنهم صرفوا العبادة لغير الله، فإذا صرفت لغير الله العبادة، فأنت مشرك، سواء كان هذا الذي صرفت إليه العبادة ملكًا أو نبيًا أو جنيًا أو شجرًا أو حجرًا، هذا لا عبرة به.

قال –رحمه الله–: **وَالدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالَى: (وَقَاتِلُوهُم حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ للهِ)**.

قوله تعالى: (وَقَاتِلُوهُم) أي وقاتلوا المشركين، هذا أمر من الله عز وجل، فمن هم المشركون ؟

الجواب: هم من عبد مع الله غيره، بقطع النظر عن هذا الغير، سواء كان هذا الغير ملكًا أو نبيًا أو جنيًا أو حجرًا أو شجرًا أو شمسًا أو قمرًا.، فقاتلهم جميعا لماذا ؟

الجواب: حتى لا تكون فتنة، ما معنى الفتنة ؟ الفتنة الشرك، حتى لا يكون شرك، وهكذا في قوله عز وجل: (وَالفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ القَتْلِ) ما معنى الفتنة أشد من القتل ؟

الجواب: الشرك أشد من القتل، وهكذا الآية الثانية: (وَالفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ القَتْلِ) ما معنى الفتنة ؟

الجواب: الشرك، فالقتل جريمة عظيمة كبيرة من كبائر الذنوب، قتل النفس المسلمة المعصومة كبيرة من كبائر الذنوب، لكن أعظم منها الشرك، فمن دعا غير الله، ومن استغاث بغير الله، ومن ذبح لغير الله تقربًا وتعظيمًا، فهذا أعظم ممن قتل نفسًا مسلمة معصومة.

بعض الناس يظنُّ أن الفتنة هي الخلاف، لا، هنا ليس المراد هنا بالخلاف.

(وَيَكُونَ الدِّينُ للهِ): أي حتى تكون العبادة والعمل لله وحده، مخلصين له الدين.

قوله تعالى: (وَقَاتِلُوهُم) إذًن هذا أمر لكنه هذا الأمر لولاة الامر، فعلى ولاة الامر عند القدرة أن يجاهدوا المشركين، بعد أن يدعوهم إلى الإسلام، ويبينوا لهم الدين والتوحيد، فإن استجابوا فالحمد لله، وإن لم يستجيبوا فعليهم أن يقاتلوهم.

وقوله: (وَيَكُونَ الدِّينُ للهِ) يكون الدين لله، يكون التوحيد، وراية التوحيد هي العالية الخفاقة، ويكون الدين الذي يُدان به دينُ التوحيد، ويفرد الله عز وجل بالعبادة، ويخلع الشرك، ويُمحى من الأرض، هذا هو المقصود من قتال المشركين، فليس المراد أخذ الأرض، ولا زيادة الموارد، لا، (حَتَّى لَا تَكُونَ فِتنةٌ) حتى لا يكون شرك.

لو قال قائل: أنتم الآن تقولون أنهم عبدوا أشياء متفرقة، أعطونا الدليل، فالدليل من القرآن.

قال: **ودليل الشمس والقمر قوله تعالى:** (وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) هذا نهي عن السجود للشمس والسجود للقمر، ونهي عن عبادة الشمس وعبادة القمر، فالسجود هنا بمعنى العبادة، إذن هناك من عبد

الشمس القمر، وإلا لما نهى الله عن ذلك، فهذا الشيء موجود، وإلا كيف يَنهى عن شيءٍ غَير موجود!.

وفي حديث الكسوف: (**إِنَّ الشَّمسَ وَالقَمرَ آيَتَانِ من آيَاتِ اللهِ، لَا يَنْكَسِفَانِ وَلَا يَنْخَسِفَان لِمَوتِ أَحدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ**) فهما آيتان من آيات الدالة على الله جل وعلا.

قوله: **ودليل الشمس والقمر قوله تعالى**: (**وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**).

قوله: **ودليل الملائكة قوله تعالى**: (**وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً**) إذن هُناك مَن اتَّخَذَ الملائكةَ والنبيين أَرْبابًا، فما معنى أربابًا ؟ الجواب: معبودون، عبدوا الملائكة، وعبد الأنبياء.

(**وَلَا يَأْمُرَكُم**) هذا النبي من علامات نبوته، ومن دلائل صدقه، أنه لا يأمركم باتخاذ الملائكة والنبيين أربابا، أما إذا كان يأمركم باتخاذ الملائكة والنبيين أربابا، فهل هذا نبي ؟! يأمركم بعبادة نفسه أو يأمركم بعبادة الأنبياء أو يأمركم بعبادة الملائكة، فهل هذا نبي ؟

الجواب: لا، ليس نبيًا؛ لأن النبي من دلائل صدقه أنه لا يأمر باتخاذ الملائكة والنبيين أربابًا.

إذن هناك من اتَّخذ الملائكة والنبيين أربابا: أي معبودين، فالرب بمعنى المعبود.

ثم قال الله بعد ذلك: (**أَيَأْمُرُكُم بِالكُفْرِ بَعْدَ إِذْا أَنْتُم مُسْلِمُونَ**) .

إذن ما هو الكفر؟

الجواب: أن تعبد نبيًا، أو تعبد ملكًا، فلو قال لكم: (اعْبُدوا الأنبياء واتخذوهم معبودين) أو (اعبدوا الملائكة واتخذوهم معبودين) لكان يأمركم بالكفر، وهذا محال.

إذن هذه الآية تبين لك أن الملائكة والأنبياء عُبدت مع الله جل وعلا.

إذن فمن عبد نبيًا فهذا كفر، ومن عبد ملكًا من الملائكة فهذا كفر، فالذين يقولون: يا رسول الله المدد المدد، هذا كفر، الذين يقولون يا رسول الله بلادنا يابسة هذا كفر، يستغيثون برسول الله، والاستغاثة عبادة، فيجب أن تصرفها لله، فتقول: يا الله المدد، يا رب المدد، وليس: يا رسول الله.

وهكذا من دُونَهُ مِن الخلق، أيضا قول: يا عيسى المدد، أو يا حسين المدد، أو يا بدوي المدد، هذا كله كفر وشرك بالله، والعياذ بالله.

قوله: **ودليل الأنبياء قوله تعالى:** (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ) هذا دليل على أن الأنبيا عُبدت من دون الله تعالى.

هذا سؤال، يُوجَّه لعيسى يوم القيامة، والمراد من توجيه السؤال لعيسى توبيخُ مَن عَبَدَ عيسى، وهم النصارى، عبدوا عيسى، وعبدوا أمَّه، فاستغاثوا بهم، ودعوهم من دون الله، وذبحوا لهم، ونذروا لهم، فيقول الله عز وجل يوم القيامة: (وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ) هل قلت للناس: اتخذوني وأمي إلهين (معبودَين) ؟! هل دعوت الناس إلى عبادة نفسك وعبادةِ أمك ؟!

والله عز وجل يعلم السر وأخفى سبحانه، لكن هذا السؤال تقريع وتوبيخ لعابديه، كما مرَّ معنا أن الله عز وجل يُوجه السؤال للموءودة التي دُفنت وهي صغيرة، دفنت وهي حية، إيش ذنبها ؟! ما في عليها ذنب، ولا عملت ذنبًا، فيقول الله عز وجل: (وَإِذَا المَوءُودَةُ سُئِلَتْ) يعني يسألها الله عز وجل، لكن لماذا يسألها ؟

الجواب: تقريع وتوبيخ لقاتلها، فهكذا هنا تقريع وتوبيخ لمن عبد عيسى، وعبد مريم، قال: (سُبْحَانَكَ) أي : انزهك يا ربي أن أكونَ قد دَعوتُهم إلى عبادتي أو إلى عبادة أمي (سُبحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيسَ لِي بِحَقٍّ) هذا ليس من حقي أن أدعوَ الناس إلى عبادتي، أو أن أدعو الناس إلى عبادة أمي، فأنا رسولٌ؛ أُبلِّغ عن الله جل وعلا، قال: (إِنْ كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ) لو أني قُلتُ هذا الكلام لعلمته سبحانك، (تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ).

طيب ماذا قلت لهم ؟

الجواب: (مَا قُلْتُ لَهُم إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ) ما هو ؟ (أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُم وَكُنْتُ عَلَيهِم شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِم فَلَمَّا تَوفَّيتَنِي كُنتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيهِم وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ شَهِيدٍ).

فهذا دليل على أن عيسى وأمه مريم عُبِدَا من دون الله، ومن عبدهما ؟

الجواب: النصارى.

هل كان ذلك بأمر من عيسى ؟

الجواب: لا، بل عيسى ما أمرهم إلا بعبادة الله وحده، (وإِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُم فَاعْبُدُوه هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) .

لما جاءت به أمُه تَحملُه إلى قومها، قالوا لها ذلك الكلام؛ يُعرّضُونَ بِها: (يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سُوءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا * فَأَشَارَتْ إِلَيهِ قَالُوا كَيفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي المَهْدِ صَبِيًّا).

فماذا قال أول كلمة ؟ (قَالَ إِنِّي عَبدُ اللهِ) أنا عبد الله، لكن أينَ النصارى من هذا الكلام ؟ النصارى يقولون: عيسى الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة (عيسى وروح القدس والله جل وعلا) تثليث، هذه عقيدة النصارى من هذا الكلام ؟! فهو عبدٌ لله جل وعلا، وما دعا الناس إلا إلى عبادة الله وحده، مثله مثل سائر الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ودليل الصالحين قوله تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ) هذا دَليلٌ على أن الصالحين عبدوا من دون الله، فيقول الله يقول الله عز وجل لهؤلاء المشركين الذين عبدوا الصالحين: هَؤلاءِ الصَّالحين الذين تعبدونهم كانوا يدعون الله، ويبتغون إلى ربهم الوسيلة، كانوا يطيعون الله، ويجتهدون، ويبتغون إلى ربهم الوسيلة (الطاعة)، يتقربون الله عز وجل بالطاعة لماذا ؟ حتى يتقربوا إلى الله عز وجل، وتحصل لهم الرحمة، ويحصل لهم النجاة من العذاب؛ لأنهم ويخافون عذابه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: هذه الآية في كل من دعا وعبد صالحًا، وهو داع لله.

فهؤلاء المشركون يتقربون مثلا إلى غير الله، فيدعون عيسى، وعيسى كان يعبد الله جل وعلا، يعبدون مريم عليها السلام ورضي الله عنها، ومريم صديقة قانتة لله عز وجل، دائمة الطاعة لله عز وجل، من عباد الله الصالحين.

فهؤلاء الصالحون كانوا يعبدون الله، فافعلوا مثلهم، لماذا تعبدونهم ؟ تدعونهم، وتذبحون لهم، تنذرون لهم، وهم كانوا يتقربون بهذه القرب إلى الله جل وعلا، وأنتم إذا أردتم أن تقتدوا بهم فتقربوا إلى الله بمثل ما تقربوا به، لكن الذي حصل من هؤلاء المشركين أنهم عبدوا الصالحين، فالله عز وجل يقول: هؤلاء الصالحون هم عابدون لله، فكيف تَعبدُ عَبدًا لله جل وعلا، إنما الواجب أن تعبد ربًّا خَالِقًا رَازِقًا، يحيي ويميت، يملك ويتصرف بهذا الكون، هذا الذي يستحق العبادة، أما عبد تعبده فإنه لا يستحق العبادة، ولو كان نبيًا، ولو كان ملكًا، هو عبد لله جل وعلا.

وقيل أن هذه الآية في قوم كانوا يعبدون الجن، فأسلم الجنُّ، وصاروا يتقربون الله عز وجل بالطاعات، وما عَلِم الإنس أن هؤلاء الجن الذين يعبدونهم ويدعونهم ويستغيثون بهم قد أسلموا، وقد صاروا يتقربون الى الله جل وعلا بالطاعات، فهذا أيضا مما جاء عن سلفنا الصالح.

فالله عز وجل يخبرنا عن أولئك الذين يَدْعُونهم قد صاروا يبتغون إلى ربهم الوسيلة، يتقربون إلى الله بالطاعة، الوسيلة هنا بمعنى الطاعة، وصاروا يرجون رحمته، ويخافون عذابه.

فهذا دليل على أن الصالحين عُبِدُوا من دون الله، فلا يأتِ اليوم عبَّاد القبور، أو علماء الشرك والسوء والضلالة، فيقولون: لا، كفار قريش ما عبدوا الصالحين، والذين أُرسِل إليهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم ما عبدوا الصالحين، إنما عبدوا أصنامًا، عبدوا أحجارًا، فيقال لهم: لا، هذ غير صحيح، عندنا القرآن موجود، وهذه الآية الخالدة إلى يوم الدين.

قوله: **ودليل الأشجار والأحجار قوله تعالى: (أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى).**

اللات هي صخرة كان يعبدها أهل الطائف، والقراءة الأخرى بالتشديد تكون اسم فاعل من اللت، وهو الرجل الصالح الذي كان يلت السويق، ويطعمه الحجيج، فمات فعكفوا على قبره، ثم عبدوه من دون الله، وكانت بجانبه صخرة بجانب القبر، ثم جعلوا القبر والصخرة في حُجْرَةٍ مربعة، ثم صار القبر والحجر في مربع واحد يسمى باللات.

والكفار كانوا يعظمونها، ويكثرون من الحلف باللات والعزى، فهي من أشهر أصنام العرب.

اللات تصبح دليل على أنهم عبدوا الصالحين، وأن كفار قريش عبدوا رجلًا صالحًا، وتصلح دليل على الحجر، أنهم عبدوا الحجر .

والعزى هذه شجرة كان يعبدها أهل مكة، وهي شجرة.

ومناة الثالثة الأخرى هذه صخرة، يعبدها الأوس والخزرج، وهي من أشهر أصنام العرب، وهناك أصنام كثيرة للعرب، والنبي صلى الله عليه وسلم في مكة حطَّم حول الكعبة ثلاث مئة وستين صنمًا، لكن أشهرها هذه ثلاثة.

وحديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: "خَرجْنَا مَع النَّبي صلى الله عليه وسلم إِلَى حُنينٍ، وَنَحنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُم، يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ، كَمَا لَهُم ذَاتُ أَنْوَاطٍ". الحديث:

قول أبي واقد رضي الله عنه: (وَنحنُ حُدثَاءُ عَهدٍ بِكُفرٍ) قدَّم رضي الله عنه الاعتذار؛ لأنهم طلبوا شيئًا، فأنكر عليهم النبي صلى الله عليه وسلم هذا الطلب، فهو يعتذر لأنهم أسلموا قريبا، وهم مسلمة الفتح؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج إلى مكة في عام الفتح خرج بعشرة آلاف مقاتل، ثم بعد فتح مكة توجه إلى حنين في اثني عشر ألف مقاتل، زاد ألفان، فهؤلاء من مسلمة الفتح الذين أسلموا يوم الفتح.

قوله: **وَلِلْمُشرِكِينَ سِدْرَةٌ**: أي شجرة، يعكفون عندها، العكوف المكث، يمكثون عندها، ويجلسون هناك عند هذه الشجرة، والعكوف عبادة؛ ولهذا استحب الاعتكاف في المساجد لله جل وعلا، وهكذا يشتد الاستحباب ويتأكد هذه السنة في رمضان في العشر الأواخر؛ عبادةً لله، فهم كانوا يصرفونها لهذه الشجرة، يعكفون عندها، يتقربون إلى هذه الشجرة بالعكوف، وهذا ما زال ليومنا هذا، يتقربون إلى قبور الأولياء بالعكوف، يأخذ أسرته، ويذهب يعتكف عند قبر النبي هود، هناك فنادق أو قلْ: غرف مفروشة، أو شقق مفروشة بجانب القبر، فهناك يخيمون، وهناك يجلسون الأيام الطويلة؛ اعتكافًا عند قبر النبي هود.

وهكذا عند قبور غيره من الأنبياء، أو من ممن يزعمون أنهم أنبياء، أو أنها قبور أنبياء، ولا يعرف لنبي قبرٌ إلا النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فليس هناك نبيٌّ قبرُهُ معلوم إلا النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

وأيضا قبر النبي إبراهيم الخليل، أما ما عدا ذلك، فقبور الأنبياء لا تُعرف، لكن الشاهد أنهم يعكفون عند القبور.

قوله: **وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُم**: يُعلِّقُون بالشجرة أسلحتهم كالسيوف والرماح والحراب، فينطون: أي يعلقون أسلحتهم؛ رجاء البركة، وهذه عبادة أخرى، يطلبون من الشجرة البركة، فيُعلِّق السيف فوقها أو الحرب أو السهام، فتصير أمضى وأقوى، فهذه أيضا عبادة يصرفونها للشجرة.

وهكذا لأن عباد القبور يتبركون بالقبور، ويعتقدون أن القبور تُبارِك، فتجدهم يأخذون ترابًا معهم فوق رءوسهم، ويحملونه معهم، وربما خلطوه بالطعام، وهذا عجيب، لكن يفعلها هؤلاء الذين يصرفون العبادة لغير الله: **(وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ)**.

قوله: **يُقالُ لَهَا ذَاتُ أَنْواطٍ**: اسم هذه الشجرة "ذات انواط" إذن هذه معبود من معبودات العرب.

قوله: **فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ**: فمررنا بشجرة، انظر الآن: **فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُم ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ: اللهُ أَكْبَرُ ! إِنَّهَا السَّنَنُ، قُلْتُم وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: (اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُم آلِهَةٌ)**: شبَّهَ المقالةَ بالمقالة، فقولهم: "اجعل لنا ذات أنواط" تساوي قول بني إسرائيل "اجعل لنا إلها كما لهم آلهة" لماذا ؟ الجواب: لأن لو جعل لهم هذه شجرة، يعتكفون عندها، ويتبركون بها، تطلب منها البركة، ويُعتكف عندها، هذه تصير إلهًا معبودًا، يعبدونها، فسوى المقالة بالمقالة، فقال: (**اللهُ أَكْبَرُ**) تَعجُّبًا إنكاريٌ (**إِنَّهَا السَّنَنُ**) إنها الطرق، تتبعون طرق من كان قبلكم.

لو كان بنو إسرائيل اتخذوا إلهًا لكفروا، وهكذا لو اتخذ هؤلاء شجرة لكفروا، لكن طلبوا، فأنكر عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فانتهوا.

الشاهد: أن هذا الحديث فيه أن من معبودات العرب "شجرة ذات أنواط" .

إذن عبدوا شجرة، وعبدوا حجرًا، وعبدوا الصالحين، وعبدوا الملائكة، وعبدوا الجن، وعبدوا الأنبياء، وعبدوا الشمس والقمر، وعبدوا الكواكب، فمعبوداتهم متفرقة متنوعة، لكن يجمعهم كلهم الشرك، أنهم مشركون، صرفوا العبادة لغير الله، فأمر الله عز وجل بقتالهم جميعًا، ولا تفريق بينهم.

قال –رحمه الله– : **القَاعِدَةُ الرَّابِعَةُ: أَنَّ مُشْرِكِي زَمَانِنا أَغْلَظُ شِرْكًا مَنَ الأَوَّلِينَ؛ لِأَنَّ الأَوَّلِينَ يُشْرِكُونَ فِي الرَّخَاءَ، وَيُخْلِصُونَ فِي الشِّدَّةِ، وَمُشْرِكُو زَمَانِنا شِرْكُهُم دَائِمٌ فِي الرَّخَاءِ وَالشِّدَّةِ، وَالدَّلِيلُ قَولُه تَعالَى: (فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُم إِلَى البَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ).**

بعد أن ذكر الشيخ –رحمه الله تعالى– ثلاث قواعد: وهي أن المشركين الأوائل كانوا يقرون بالله جل وعلا، وأنه الرب المالك الخالق المتصرف المدبر، وأن هذا الإقرار لم يدخلهم في الإسلام، وقاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم، واستباح دماءهم وأموالهم، وسبى نساءهم ؛ لأنهم ما أقروا بتوحيد العبادة، ولم يفردوا الله جل وعلا بالعبادة، وإنما عبدوا الله وعبدوا غيره معهم، وبهذا كانوا مشركين، فلا ينفعهم أن يقولوا: ربنا الله، خالقنا ورازقنا ومدبر الأمر والمتصرف فينا هو الله، ما دام أنهم يعبدون مع الله غيره.

ثم إنهم عبدوا غير الله عز وجل لا لأجل أن هذه المعبودات تخلق وترزق وتملك من الأمر شيئًا، وإنما توجهوا لها بالعبادة لأجل أنها تقربهم إلى الله عز وجل، وأن تشفع لهم عند الله، وأن ترفع لهم الحاجات والطلبات؛ حتى يقضيها الله عز وجل بواسطة هذه الآلهة، فالله عز وجل كذَّبهم وكفرهم، فهم كذبة في أن هذه المعبودات تقربهم إلى الله أو تشفع لهم عند الله، وكفرة لأنهم صرفوا العبادة لهذه الآلهة.

ثم ذكر أن هذه الشفاعة التي رجاها المشركون من آلهتهم أنها منتفية، فما تنفعهم شفاعة الشافعين؛ لأنهم مشركون، ولأن الشفاعة لا تكون إلا بعد الإذن من الله جل وعلا والرضا عن الشافع والمشفوع له.

ثم ذكر أن هؤلاء المشركين لم يكونوا يعبدون شيئًا واحدًا مع الله، وإنما كانوا يعبدون أشياء كثيرة، فمنهم من كان يعبد الشمس والقمر، ومنهم من كان يعبد الأنبياء، ومنهم من كان يعبد الصالحين، ومنهم من كان يعبد الملائكة، ومنهم من كان يعبد الجن، ومنهم من كان يعبد الأحجار والأشجار، فمعبوداتهم متنوعة، فمع ذلك فالجميع مشتركون في أنهم مشركون، بقطع النظر عن هذا المعبود مع الله جل وعلا، فكل من صرف عبادةً لغير الله فهو مشرك.

ثم في هذه القاعدة الرابعة الأخيرة من هذا الكتاب، بيَّن الشيخُ –رحمه الله تعالى– أن مشركي زماننا أغلظ شركًا من الأولين، وهذه القاعدة الرابعة كأنها نتيجة لما سبق، يعني لما شابه مشركوا زماننا المشركون الأوائل في صرف العبادة لغير الله، لكن زاد مشركوا زماننا على مشركي زمن النبي صلى الله عليه وسلم بشيء، وهو أن المشركين الأوائل الذين بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يشركون في الرخاء، يعبدون الله ويعبدون غيره في حال الرخاء، يذبحون لله ويذبحون للآلهة، وينذرون لله وينذرون للآلهة، **(وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا)**، وكانوا يذبحون للآلهة ويذبحون لله، ويطوفون بالآلهة ويطوفون لله، لكن هذا كله في حال الرخاء والسعة، لكن في حال الشدة، عندما يحصل لهم شدة، فإنهم –أي كفار الأوائل– يخلصون في الشدة، يخلصون لله جل وعلا، فينسون آلهتهم حال الشدة، لا يدعون لا هُبل ولا العزى ولا اللات ولا مناة، لا يدعون في الشدة إلا الله جل وعلا، فيقولون: يا الله، والدليل قوله تعالى: **(فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ)** هذا حال المشركين الذين بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال سبحانه: **(حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ)** ظنوا أنهم سيهلكون **(دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ)**، وقال سبحانه: **(وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ)** كل ما تدعونه نسيتموه **(ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا)**،وقال سبحانه: **(وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ)** وآيات كثيرة في هذا، أن المشركين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم الذين بعث إليهم، وأُرسل إليهم كانوا يخلصون لله الدعاء في حال الشدة، فلا يدعون إلا الله، ثم إذا حصلت لهم النجاة، ووصلوا الى البر، رجعوا إلى الشرك، وفي

سورة الأنعام: (قُلْ مَن يُنَجِّيْكُم مِنْ ظُلُمَاتِ البَرِّ وَالبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِن أَنْجَيتَنا مَن هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * قُلْ اللهُ يُنَجِّيكُم مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُم تُشْرِكُونَ) وفي الآية الأخرى: (وَتَنْسَونَ مَا تُشْرِكُونَ) يعني تَنْسَون آلهتكم، تنسون اللات والعزى وهبل ومناة، إذا حصل لكم الشدة والضر في البحر، نسيتم الآلهة التي تدعونها إلا الله جل وعلا.

أما مشركي زماننا سواء كان في زمن المؤلف إلى يومنا هذا، قال الشيخ: وَمُشْرِكُوا زَمَانِنَا شركهم دائمٌ في الرخاء والشدة، يشركون في الرخاء والشدة، بل في الشدة لا يذكرون إلا الولي، إذا حصلت المصيبة، قال: يا عيدروس، إذا حصلت المصيبة قال: يا رسول الله، إذا حصلت المصيبة والضر قال: يا بدوي، يا جيلاني، يا زينب، يا علي، يا حسين، فيفزعون عند الشدة إلى معبوداتهم، لا يفزعون إلى الله عز وجل، ليسوا كالمشركين الأوائل، المشركون الأوائل إذا حصلت لهم الشدة فزعوا إلى الله، ولجأوا إلى الله، المشركون في زمن المؤلف إلى يومنا هذا عبُّاد القبور إذا حصلت المصيبة، وحصل الضر، وحصل الكرب، دعوا غير الله، وفي حال الرخاء أيضا يشركون، فيدعون الله ويدعون غيره، ويستغيثون بالله ويستغيثون بغيره، ويذبحون لله ويذبحون للأولياء، ويتقربون إلى الله بطواف حول الكعبة، ويتقربون إلى الولي في الطواف حول الولي والقبر، ويستلمون الحجر الأسود لله، ويستلمون أركان القبر، ويبوسون الحجر الأسود لله إذا استطاعوا، ويقبلون أركان القبر، يفعلون مع معبوداتهم كما يفعلون مع الله جل وعلا.

وفي حال الشدة هُم أشد فزعًا ولجأً إلى معبوداتهم، وينسون الله جل وعلا، حتى أن بعضهم حصلت له المصيبة، فقال: يا فلان..؛ يدعو فلان، ويستغيث به، فقال له بعضهم: لماذا لا تقول: يا الله، فقال: قولي يا فلان.. يكفي في الشدة، يعني قولي: يا عيدروس، قولي: يا رسول الله، قولي: يا حسين، يا علي، في الشدة يكفي، وتحصل لي النجاة من الضر، ويحصل لي كشف الكرب، ولا حول ولا قوة إلا بالله !.

فأشركوا في حال الرخاء، وفي حال الشدة، والأوائل أشركوا في حال الرخاء فقط.

إذن من أعظم وأغلظ: الذي يشرك في حال واحدة، أم الذي يشرك في الحالين ؟!

الجواب: الذي يشرك في حالين، الذي يشرك في حال الرخاء والشدة، هذا أغلب وأخطر وأعظم ممن يشرك في حال واحدة، وكلهم مشركون، هؤلاء وهؤلاء، لكن الشرك يتفاوت، فبعضه أعظم من بعض.

وهكذا أيضًا –بارك الله فيكم– قد يكون مشركو الزمن الأول في زمن النبي صلى الله عليه وسلم أعظم شركا من مشركي زماننا من جهة الإيمان برسول الله، فالأوائل ما كانوا يشهدون أن محمد رسول الله، أما هؤلاء عباد القبور يشهدون أن محمدا رسول الله، فالذي ينكر أعظم ممن يقر، وأيضا كان الأوائل ينكرون

البعث، أما هؤلاء عباد القبور يؤمنون بالبعث، لكن هل ينفعهم إيمانهم بالبعث وإيمانهم برسول الله، وهم يدعون غير الله، ويذبحون لغيره ؟!

الجواب: لا ينفعهم، الشرك يُحبطُ الأعمال: **(لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ)** إذا أشرك النبيُّ صلى الله عليه وسلم وحاشاه أن يشرك، لكن مع ذلك لو أشرك لحبط أعماله، ولحبطت النبوة، وهكذا من الصحابة، لو أشرك أحدهم فإن الصحبة تُحبط، وإذا ماتَ عَلَى الردةِ فَليسَ بصحابي.

فلا يفهم من هذه القاعدة أن مشركي زمن المؤلف أو في زماننا أنهم أغلظ من المشركين الأوائل في كل النواحي، لا، بل هناك نواحي هم أغلظ شركًا من الأولين مثل هذه الناحية، أنهم يشركون في الرخاء والشدة، والمشركون الأوائل يشركون في حال فقط الرخاء.

أيضا المشركون الأوائل كانوا يقرون بأن الله هو الرب الخالق الرازق، وأنه لا أحد يتصرف مع الله، ولا أحد يدبر الكون مع الله، يقرون بهذا، في زماننا وزمن المؤلف.

لكن عباد القبور بعضهم يعتقد أن صاحب القبر يتصرف في الكون، فيقول: هذا العيدروس مثلًا يتصرف في رُبع الأرض، يتصرف فيها، والبدوي معه ربع ثاني يتصرف فيه، والجيلاني معه الربع الثالث، والرابع كذا وكذا معه الربع الأخير من الأرض، فقسموا الأرض إلى أربع أرباع، يتصرف فيها الأولياء، فكل ربع يتصرف فيه، وينظر في شؤونه، ويتصرف في أموره، وهذا شرك في الربوبية، وهذا لم يفعله المشركون الأوائل، وهؤلاء عباد القبور وصلوا إلى ما لم يصل إليه المشركون الأوائل، فهؤلاء أعظم شركًا من من هذه الحيثية، ومن هذه الجهة.

فبهذه القواعد الأربع تعرف ما يحصل عند قبور الأولياء اليوم وفي زمن المؤلف وقبل زمن المؤلف، أنه هو نفس ما يحصل عند اللات والعزى وهبل، ولهذا يقال هذه: أوثان تعبد من دون الله، قبر العيدروس، قبر البدوي، قبر الجيلاني، قبر علي، قبر الحسين، هذه كلها أوثان تُعبد من دون الله تبارك وتعالى؛ لأن الذي يحصل عندها هو نفس ما حصل عند اللات وعزى وهبل وغيرها من أصنام العرب.

فحري بالمسلم أن يفهم هذه القواعد، وأن يعرفها حتى يعرف دين المرسلين دين التوحيد، ويعرف دين المشركين الذين أرسل إليهم النبي صلى الله عليه وسلم.

****